الخطابة



تأليف

الدكتور نقولا فياض

عضو المجمع العلمي العربي في الشام

طبعة ثانية

تطلب بادارة

ادارة الهلال بمصر

سنة ١٩٣٠

الخطابة ضرب من الكلام يراد به التأثير في الجمهور من طريق السمع والبصر معاً . وهي فطرية في الانسان كالغناء والنطق ولهذا تجد آثارها عند الاقدمين في كتب الهند المقدسة وكتب مصر وفارس والصين . ولا ريب ان الاعمال العظيمة التي خطت على جبين الدهر من بطولة وكرم ومجد كان الدافع اليها خطب الافراد الذين امتازوا بسرعة الخاطر وقوة العارضة وجرأة الفكرة وذلاقة اللسان . فمن ابطال اوميروس الى الاسكندر وقيصر ، الى بطرس الناسك وتوما الاكويني ، الى لوثر وكلفن الى ميرابو ودانتون وروبسبير ، الى دزرئيلي وغلادستون وتيارس وغامبتا ، الى جوريس بالامس وموسوليني اليوم لا تزال البلاغة أداة الاقناع والعامل الأكبر في انهاض الهمم وتنبيه العزائم وإذكاء الشعور . بها آثار سولون حماسة الاثينيين فخاضوا غمرات الموت لاسترجاع «سلامين» ، وبها كان شيشرون يقود الشعب الروماني المعلق بشفتيه من دار القضاء الى السوق ومن السوق الى دار القضاء

وبها اسكت ابو بكر اهل المدينة واخمد هياجهم بعد موت النبي وبها اندلعت نيران الثورة الفرنسية فغيرت شكل الاجتماع ولولاها لما سحرت الاديان عقول البشر ، ولا كان لها ابطال و شهداء في بدو ولا حضر

والذي يبادر الى الذهن ان قوة كهذه لابد ان تكون قد اشعلت

القرائح والعقول وكانت موضوع الدرس العميق والبحث المستطيل . على أن الواقع بخلاف ذلك ومن بواعث العجب والأسف قلة الكتب التي خصت بها وندرة المحفوظ منها بين ايدينا ولا سيا عند العرب وهم كما نعلم من أخطب الامم

ولم تبلغ حاجة الانسان الى التكلم في الاندية والجماهير مبلغها اليوم فان الوقت يسير بالانسان نحو التوسع في الاشتراك بالحكم وقد اصبحت المعاملات الاجتماعية اكثر تشعباً وتداخل بعضها في بعض تداخلا لم يسبق به عهد واتسع نطاق التعليم وانتشرت أنوار الثقافة مما جعل كل طبقة من الناس على كثب دائم من المؤثرات الخطابية

وكثير من الناس لم تؤهلهم المدارس الى تعلم الخطابة أو التمرن عليها وهم مع ذلك في افتقار شديد الى هذا السلاح لتعدد الفرص الداعية الى حمله من حفلات سياسية او عمرانية او غير ذلك

فضلا عن هذا فان المحاماة التي هي من أعظم المهن وأوسعها خدمة للمجتمع تتطلب البلاغة قبل كل شيء وليس في برنامج الدروس التي يتلقاها طلبة الحقوق ما يختص بتعليم الخطابة فاذا لم يتسن للطالب أن يستوفي حظه من هذا القبيل فانه يختم دروسه ويحمل شهادته وهو لا يزال فقير المادة في الكلام قصير الحجة في الجدل لا يستطيع مع كل ما درس ووعى أن يجاري زملاءه القادرين في الدفاع عن الارملة واليتيم والمظلوم ولا أن يسمع في ندوة القضاء كما يقول هنري روبير « صوت الرحمة البشرية والعدل الانساني »

ثم ان الحكم الدستوري الذي تنمشى نحوه كل الامم يحتاج الى سلاح البلاغة والناخب يؤثر المتكلم الفصيح على سواه ولهذا نحن

كثيراً من المحامين على مقاعد النيابة في كل البلدان . وليس الوزير ان حققت سوى محام يدافع أمام المجلس عن واجباته وعن معاونيه وشركائه في المسؤولية . ما الفائدة من انتخاب مزارع مثلا لوزارة الزراعة أو جندي للحربيه أو تاجر للاشغال ؟ حسب الوزير أن يأخذ من كل علم بطرف على شرط أن يكون فصيح اللسان عذب البيان

ليست الحاجة الى البلاغة مقصورة في الحياة السياسية على الحكم الدستوري بل تمتد الى الدكتاتورية وربما كانت الواسطة الاولى التي تمهد لصاحبها طريق الرآسة ، فان موسوليني أو مصطفى كمال أو لينين لم يستطيعوا الانتصار على الحكم السابق الا بالكلام أولا

وعلى الجملة فان فوائد الخطابة أكثر من أن تحصى وهي تعم الكاتب والتاجر والسياسي والقائد والعالم والمربي وكل من كتب له أن ينزل الى ميدان الحياة ويدخل معترك الاجتماع

ذلك ما حدا بي الى تأليف هذا الكتاب واضعاً فيه كل ما وقفت عليه في كتب القوم على ندرتها أو عرفته بالاختبار ولا أدعي به القدرة على أن أخلق دعوستيياً أو شيشروناً غير اني واثق انه يساعد القارىء على تحقيق رغبته في أن يكون يوماً من أبطال المنابر

وقد أردت به على الخصوص خدمة المدارس على انه لا يخلو من اللذة والفائدة للمحامي والخطيب . والله من وراء كل عليم

القسم الاول

البلاغة علما وعملا

تعريف البلاغة

ان تعريف البلاغة صعب ككل تعريف . جرب مثلا أن تعرف . الذكاء أو الجمال أو الحكمة فقد تظن للوهلة الاولى ان ذلك سهل المنال ولا تلبث بعد الامعان أن تتبين خطأ ظنك فترى انه أسهل عليك أن تدرك الاشخاص أو الاشياء المطبوعة بطابع الجمال أو الذكاء أو غيرها من أن تحلل جوهر هذه الصفات عينها . كذلك البلاغة فاننا نفهم بلا تعب ان هذا الرجل أو هذا الخطاب بليغ ولكن الفهم شيء والتحليل شيء آخر

جاء في البيان والتبيين للجاحظ : قيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال : معرفة الوصل من الفصل

وقيل لليوناني ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الاقسام واختيار الكلام

وفي العمدة لابن رشيق سئل بعضهم ما البلاغة ؟ قال : قليل يفهم وكثير لا يسأم

وقال آخر : هي إجاعة اللفظ واشباع المعنى

وقال آخر : معان كثيرة في الفاظ قليلة

وسئل بعض الاعراب من أبلغ الناس قال : أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة .

وقال غيره : البلاغة هي الايجاز في غير عجز والاطناب في غير خطل

وقال عبد الحميد بن يحي : هي تقرير المعنى في الافهام من أقرب وجوه الكلام

وقال ابن المعتز : هي البلوغ الى المعنى ولما يطل سفر الكلام

وقال الخليل : هي ما قرب طرفاه وبعد منتهاه

وأنشد المبرد في صفة خطيب :

طبيب بداء فنون الكلام لم يعي يوماً ولم يهذر
فان هو أطنب في خطبة قضى للمطيل على النزر
وان هو أوجز في خطبة قضى للمقل على المكثر

قال ابو الحسن الرماني: أصل البلاغة الطبع . وقال غيره هي تقصير الطويل وتطويل القصير يعني بذلك القدرة على الكلام

وقال أبو العيناء البليغ من أجزأ بالقليل عن الكثير وقرب البعيد اذا شاء وبعد القريب واخفى الظاهر وأظهر الخفي

قال البحتري في وصف بلاغة عبد الملك الزيات :

ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرول ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فأد ـ ركن به غاية المراد البعيد

وقال بعض المحدثين البلاغة : هي اصدار المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ

ومن أقوال الثعالبي: أبلغ الكلام ما حسن ايجازه وقل مجازه وكثر إعجازه وتناسبت صدوره وأعجازه وأيضاً : البليغ من يحوك الكلام على حسب الاماني ويخيط الالفاظ على قدر المعاني

وسئل الكندي عن البلاغة قال: ركنها اللفظ وهو على ثلاثة أنواع فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به، ونوع تعرفه وتتكلم به، ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو أحمدها

قال معاوية بن أبي سفيان لصحار بن عياش العبدي ما هذه البلاغة التي فيكم قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا فقال له رجل

من عرض القوم يا أمير المؤمنين هؤلاء بالبسر والرطب أبصر منهم بالخطب فقال له صحار أجل والله انا لنعلم ان الريح لتلقحه وان البرد ليعقده وان القمر ليصبغه وان الحر لينضجه

وقال رجل للقباني ما البلاغة قال : كل من بلغك حاجته وأفهمك معناه بلا إعادة ولاحبسة ولااستعانةفهوبليغ قالوا قد فهمناالاعادةوالحبسة فما معنى الاستعانة قال أن يقول عند مقاطع كلامه اسمع مني وافهم عني أو يمسح عثنونه أو يفتل أصابعه أو يكثر التفاته من غير موجب أو يتساعل من غير سعلة أو ينبهر في كلامه قال الشاعر :

مليء ببهر والتفات وسعلة ومسحة عثنون وفتل الاصابع

وهذا كله من العي

وفي كتب الافرنج تعريفات شتى للبلاغة نقتصر على بعضها

قال لاهارب : البلاغة هي التعبير الصحيح عن عاطفة حقيقية

وقال تين : هي فن الاقناع

وقال : سورن هي الفكرة الصائبة أولا والكلمة الملائمة بعد ذلك

وقال بسكال : هي تصوير الفكر

وقال لابرويار: هي نعمة روحانية تولينا السيطرة على قلوب الناس وعقولهم

وقال دلامبر : هي فن اظهار الشعور

وقال فيري : هي حدة التصور وقوة التصوير

وقال لا كوردير : هي الروح التي تفلت من قيود المادة وتترك الصدر الذي يفلتها لترتمي في صدور الآخرين

وقد سمى شيشرون البلاغة حركة النفس الدائمة . وأقام منها سنيك الهًا مجهولا في صدر الانسان . وجعلها كانتيليان الواسطة للحصول على

الحقيقة ووضعها كنار في القلب والتصور . وعرفها مارمونتل بأنها فطرة قبل أن تكون فناً . ومثلها الافدمون بهيئة إله يخرج من فيه عند الكلام سلاسل ذهبية ترتمي على السامعين فتربطهم بها

ولابن المقفع وصف طويل للبلاغة قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاسماع ومنها ما يكون في الاشارة ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون سجعاً وخطباً ومنها ما يكون رسائل. فعامة هذه الابواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة . فأما الخطب بين السماطين وفي اصلاح ذات البين فالاكثار في غير خطل والاطالة في غير املال وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته

كل هذه التعريفات تنطبق على البلاغة الا انها لا تؤدي منفردة كل ما في البلاغة من معان ولو أردنا أن نجمع بين هذه الاقوال ونؤلف منها حداً يفي بتفسير البلاغة ويعرفها حسبما يراد منها في هذا العصر وكما يجب أن يتصف بها خطيب اليوم لاضطررنا الى التمييز بين البلاغة الكتابية والخطابية لانه متى كان الفكر صادقا والتعبير موافقا فقد بلغ الكاتب ما يريد . وأما الخطيب فيحتاج الى شروط أخر لأن من يتكلم ليس كمن يكتب وقد قلنا في صدر هذا المقال ان المراد من الخطابة التأثير في الجمهور من طريق السمع والبصر فكان من الواجب ارضاء هاتين الحاستين والدخول عليهما بما يقتضيه العطف والايناس وهذا ما يحملنا على اضافة معنى آخر عند تعريف البلاغة ليس هو

الاقناع كما يقول تن بل كما يريد لا كوردير من ادخال عاطفة القائل في نفس السامع واذن يمكننا تعريف البلاغة هكذا : صدق التفكير وحسن التعبير وقوة التأثير

وسيرى القارىء فيما يلي من فصول هـذا الكتاب قرب هذا التعريف من الحقيقة

يقول المثل لا تعدم الحسناء ذامّـا وكذا البلاغة فقد وجد من عاب بيانها وأنكر احسانها فقال بعضهم: ان ضرر البلاغة أكثر من نفعها لأنها تسدل على الحقيقة ستاراً من الالفاظ البراقة والمعاني الخلابة فتظهر الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق

وقال آخر : البلاغة تفعل بالتأثير لا الاقناع لأنها تخدر حاسة النقد وتقيم أمرها بالاكراه بما تسوق اليه من تهييج الاعصاب وكلما زاد عدد السامعين زاد تهييجها فكان سلطانها أعظم تأثيراً وأبعد مدى

وقالوا : هي الأصل في كل عداء والسبب لكل بغضاء ومن قديم الزمان الى الآن لا تزال حرب اللسان سابقة لحرب السنان

وقالوا أيضاً : هي اداة نفاق لرجال السياسة يحملونها في كل ناد ويهيمون منها في كل واد

وهذا بعض ما قيل في ذم البلاغة ولكنه على حد ما يقال في ذم الماء لانه يغرق والنار لانها تحرق أو ذم الدواء لأنه من جوهر سام ولو كان من ورائه الشفاء

وقد قيل عن الحضارة والرقي مثلما قيل في البلاغة فاشهروا افلاس العلم وعجز الارتقاء لانه لا يزال على الارض شقاء

واذا كانت البلاغة تستعمل احياناً سلاحاً للباطل فمن العدل أن يتخذها الحق ليحارب بها الباطل ولهذا جعل الاقدمون اللسان في اعلى مقام من الشرف وأدنى مكان من الامتهان

والحقيقة التي يجب ان تعلم وتقال هي ان البلاغة ليست تجارة كلام بل فناً خطير الشأن عزيز المذهب غايته تهذيب النفوس واصلاح الاخلاق وتنوير الاذهان وكبح جماح الشهوات ودعم النظم والقوانين ورد الناس الى الصلاح وهديهم سواء السبيل

من هو الخطيب

هل يولد الانسان خطيباً كما يولد شاعراً أو بعبارة أصح هل يحتاج الخطيب الى ذلك الوحي الآتي من اعماق النفس كأنه انفجار باطني أم يكفيه العلم والممارسة ليجد سبيلا الى عقول الناس وقلوبهم ؟

من المعلوم ان النطق عمل منعكس من اعمال النفس البشرية كالصمت أو غيره فكما تجد من الناس من تخرسه مشاهد الوجود الرائعة فيقف منها موقف الدهشة والذهول لا يطيق حركة ولا يحتمل صوتاً تجد بعكس ذلك من لا يستطيع السكوت عما يجيش به صدره من مختلف التأثيرات كانما هو يريد ان يشرك بها كل من حوله من حي وجماد . قال الاستاذ كركوس في كتابه فن التكلم في الجمهور ما معناه : تصور راعياً يسوق أنعامه في الخلاء وقد حيته ابتسامة الفجر وهو يفتح للشمس قصره الذهبي أو ناجاه الشفق الوردي وهو يخلع على الكون رداء السكون وانظر أي أثر يكون لهذا المشهد في نفسه فقد يقف صامتاً جامداً مأخوذاً بروعته وجلاله أو يتناول مزماره وينفخ فيه طرباً وزهواً أو اذا كان خطيباً يرفع رأسه وعينيه ويدعو اليه قوى الوجود الخفية باحثاً عنها في الريح العاصفة أو الموجة الثائرة أو الغصن المائل مع الهواء أو الصخرة الصماء

فالخطيب اذا هو الذي تهزه المؤثرات الطبيعية فيتردد صداها فيه بالوحي ينزل على لسانه والبلاغة تتدفق في بيانه

هذا التعريف يختص بالبلاغة الفطرية ، وهي اليوم لا تكفي وحدها لبلوغ الغاية من التأثير والجلوس على عرش الأسماع والقلوب . ذلك لأن اتساع دائرة المعارف الانسانية وتعدد وسائل البحث والاختبار قد جعلا موقف الخطيب صعباً فهو يحتاج إلى ذخيرة من العلم كان الأقدمون في غنى عنها لافتقاره غالباً إلى إقامة برهان وتأييد حجة ودفع اعتراض واقناع فئة من الناس قد نضجت عقولها فهي لا تقبل بالكلام يرسل على عواهنه سواء أكان هذا منها عناداً ودعوى أم رغبة بالعلم واستزادة من الفائدة

فالخطيب الذي يجمع إلى استعداده الذاتي وذكائه الفطري اضطلاعاً واسعاً ويكون موفور الحظ من العلم واللغة ليستطيع التكلم في كل موضوع بسهولة ورشاقة واقناع كما يقول شيشرون فهو المصقع البليغ الضارب على أوتار كل فؤاد

لا بد إذن للخطيب من الدرس والمطالعة لأن الحياة كما يشهدها ويقرأها هي ميدان عمله وليس فيها شيء لا يحتاج أن يسمعه أو يحثه أو يعالجه ولأن الروح كما قال فولتر نار إذا أنت لم تطعمها لتزيد وتقوى تناقصت وخبت

لقد أتى على الانسان مئات من السنين وهو يكتب ويخطب فما غادر الشعراء من متردم ولم يبق فكرة لم تمر بخاطر ولم تجر على لسان كما قال زهير

ما أرانا نقول إلا معارا أو معاداً من قولنا مكرورا

فلا يجب أن يكون هذا مدعاة إلى شعور القارىء بقصوره عن

أن يأتي بأحسن أو بأكثر مما أتاه السلف بل ليذكر أن كل جيل من الناس ينظر الى الحياة نظرة خاصة به مستقلة عن نظرات غيره

وهكذا تتجدد الحياة ومع الحياة يتجدد العمل فاذا جاز لنا أن نقول ما ترك الأول للآخر شيئاً فقد جاز لنا أن نقول أيضاً لقد ترك الأول للآخر كل شيء

وللمطالعة شرائط لا بد من اتباعها إذا أردت أن تثمر وتنتج نتاجاً مفيداً وهي : أن تكون بتأن وترو لا إفراط ولا تفريط فالذين يفترسون الكتب افتراساً إن صح هذا التعبير لا تلبث قوة الاختراع فيهم أن تضعف والبداهة أن تضيع ولهذا لا تجد أدنى نسبة بين عدد الكتب التي يقرأها الرجل ودرجة ثقافته . أما من يتخذ القراءة ضرباً من التسلية ووسيلة لقتل الوقت فيقرأ كما يدخن متنقلا من كتاب إلى آخر دون ترتيب ولا نظام ولا غاية معينة فهو يستفيد القليل دون الكثير ولا يحفظ مما يقرأ الا بقدر ما تحفظ العين من الصور المتحركة التي تتعاقب أمامها

كانت المطبوعات في القديم نادرة فكانوا يقرأون الكتاب الواحد مراراً ولا يملون الرجوع اليه كلما قضت الضرورة وقد توالت أعصر والكتب المقدسة وحدها مرجع الخطباء المصاقع يجدون فيها ما أرادوا من وحي وإلهام . ولا ريب أن الاكتفاء بمطالعة كتاب مفيد ومراجعته خير من تقليب كتب عديدة لم تتضح فائدتها بعد

وعلى الجملة فالدرس والمطالعة أمران لا بد منهما لفارع المنبر وقد قال الجاحظ : لا يحتاج في الجهل الى أكثر من ترك العلم وفي فساد البيان الى أكثر من ترك التبحر

تكلمنا عما يجب أن يكتسبه الخطيب ليساعد الفطرة ويزيد رأس ماله وينمي فيه قوة الاختراع ونأتي الآن على صفات أخرى لاتكتسب بالدرس وانما هي تتعلق بالمزاج والاخلاق والتربية الادبية

على الخطيب أن يكون .

أولا ـ رابط الجأش ساكن الجوارح لا يأخذ منه الغضب ولايفرغ عنده الصبر فان الذي لا يكون سيداً على أهواء نفسه لايستطيع أن يتحكم بأهواء سواه . وإذا احتاج إلى الغضب فليكن غضبه خطابياً ، فكما ان الممثل يجتهد أن يجعل تمثيله طبيعياً مطابقا للواقع ولا يمنعه ذلك من طلاء وجهه بالدهان فالخطيب يقدر أن يخلع على سحنته ما يريد من اللامح دون أن يمس إخلاصه أو يخل بموقفه الطبيعي

ثانياً ـ أن يكون بسيكولوجياً أي نقاباً صادق الحس ملهماً نجيب الفراسة بعيد مطارح النظر يدخل الى أعماق القلوب ويقف على مكنونات الصدور ليخاطب كل فئة على حسب هواها ويحمل عليها على أقدار منازلها فلا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الشباب بكلام الشيوخ ولا العمال بكلام أصحاب المال ويكون له فضل التصرف في كل طبقة

ثالثاً ـ أن يكون سلساً لين العريكة متضعاً يمتزج بمن يخاطبه ويقرب ما بينه وبينهم فيكون في الظاهر خادماً لهم وهو السيد المطلق . ويجاريهم في أهوائهم كلما قضت الحال لأنه لا يطاع الا اذا عرف أن يطيع كربان السفينة يلين للريح ويسايرها ليسير مركبه فلا تتحطم دون الشاطىء

رابعاً ـ أن يكون حاضر الذهن فلا يتجاوز في القول ما يهم سامعيه

وكلما أحس نبوة من النفوس عنه أو ملة للقلوب منه ألقى اليهم نغمة جديدة وطلع عليهم بفكرة غير منتظرة فيمنع التثاؤب والملل ويعيد الانتباه الى مقره ويملك عليهم سمعهم وشعورهم لأن في الخروج من معهود الى مستجد كما يقول الجاحظ استراحة للفكر ورياضة للخاطر

خامساً ـ أن يكون حي الجنان صادق البيان ليحرك من الأعماق عواطف الحرية والانسانية والتقوى والفضيلة الراقدة في قلب كل انسان ويمثل أمام تلك العيون المستعرة الناظرة اليه صور المجد والوطنية ويبعث الـكهربائية في نفوس سامعيه فيثيرهم باشارة من يديه ويهدئهم بنظرة من عينيه

من الناس من تجتمع فيه هذه الصفات أو أكثرها ولا يوفق مع ذلك الى الاجادة في الخطابة لعيوب خلقية تمنع عليه سهولة المخرج أو جهارة المنطق أو تكميل الحروف واقامة الوزن كاللجلجة (التردد في الكلام) والتمتمة (التعتع في التاء) والفأفأة (التعتع في الفاء) واللثغة واللفف وهو أن يدخل الرجل بعض كلامه في بعض والحبسة وهي ثقل الكلام دون أن يبلغ به حد الفأفاء والتمتام والحكلة أي نقصان آلة النطق وعجز أداة اللفظ فلا يسمع الصوت تماماً

أكثر هذه العيوب تبدأ في الصغر وأسبابها التعجل في الكلام وعدم التروي والتدقيق في التفكير والخجل الذي يستولي على المتكلم فاذا كبر زادها ظهوراً عدم التمرين والعادة والتقصير في درس الموضوع الذي يراد الكلام فيه أوفي الاستعداد له أو في استظهاره وليست معالجتها بعيدة المنال ولا اصلاحها مستحيلا فقد كان ديموستين ضعيف البنية والصوت فلما اعتزم الخطابة أخذ يقوي رئتيه وصوته بالصياح وهو يصعد الجبال الوعرة أو أمام شاطىء البحر مغالباً صخب الأمواج مما يدلك على انه بالتربية والتمرين وجهد النفس وأخذ اللسان قد تجيب الطبيعة ويصلح التعهد ما أفسد الاهمال

وأعم هذه العيوب وأكثرها شيوعاً اللثغة التي يحول بها اللسان من السين الى الثاء ومن الراء إلى الغين أو الياء وقد كان ديموستين يسعى الى سترها بوضع حصى في فيه عند الكلام وتكلف مخرج الراء على حقيقتها — وروى الجاحظ عن واصل بن عطاء انه كان قبيح اللثغة شنيعها فحاول اسقاط الراء من كلامه وإخراجها من حروف منطقه فلم يزل

يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله ويتأنى لستره والراحة من هجنته حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمل . قال الجاحظ وكان واصل طويل العنق جداً وفيه قال بشار الأعمى :

مالي أشايع غزالا له عنق ... كنقنق الدوّ ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم ... أتكفرون رجالا أكفروا رجلا

فلما هجا واصلا وصوب رأي ابليس في تقديم النار على الطين وقال :

الارض مظلمة والنار مشرقة ... والنار معبودة مذ كانت النار

قال واصل بن عطاء : « أما لهذا الملحد الشنف المكتنى بأبي معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالين لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ويقتله في جوف منزله وفي يوم حفله » فتجنب الراء في كل الجملة وحين لم يستطع ان يقول بشار وابن برد والمرعث جعل الشنف بدلا من المرعث والملحد بدلا من الكافر . وقال لبعثت اليه من يبعج بطنه ولم يقل لأرسلت اليه وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه

وقد يفسد النطق عند الكثير من الخطباء بفساد طريقة التنفس وجهلهم أصولها وقد شرحنا هذا في القسم الثاني من الكتاب ، أو لعلة في اللسان أو الشفاه أو في الاسنان من نقص أو تكسر

وخلاصة القول ان التغلب على هذه العاهات لا يتعذر على الحكيم الصبور بالتمرين والحيلة والانتباه الدقيق والتأني في تلفظ الحروف وما اليه

الانشاء الخطابي

للكتابة انشاء خاص وللكلام انشاء آخر ومن يجيد الواحد قد يجيد الثاني بل ربما كان تناقض بين الاثنين فان السواد الاعظم من مشاهير الكتاب لم يكونوا خطباء وبخلاف ذلك قلما تجد بين الخطباء من لا يعد كاتباً

واذا كان الكاتب غير الخطيب فليس ذلك فقط لانه لايعرف ان يتكلم كما يعرف ان يكتب بل لأن كتابته لا توافق المنبر فان المكتوب ينال بالنظر ويذاق بالفكر أما المقول فهو لا يصل الى القلب الا اذا مر في الاذن وللاذن احساس يجب ارضاؤه ونعومة يحاذر من تخديشها والشعور الذي يثيره السمع ليس كالذي تولده القراءة فضلاً عن ذلك فان عقلية الجمهور المحتشد في مكان عمومي تختلف عن عقلية الفرد المعتزل في غرفته

إذن يوجد انشاء للسمع كما يوجد انشاء للقراءة فما هي اصول هذا الانشاء وقواعده ؟

قال ابن المعتز والشيباني ان البلاغة بثلاثة امور ان تغوص لحظة القلب في اعماق الفكر وتتأمل بوجوه العواقب وتجمع بين ما غاب وما حضر ثم يعود القلب على ما أعمل به الفكر فيحكم سياق المعاني والأدلة ويحسن تنضيدها ثم يبديه بألفاظ رشيقة مع تزيين معارضها واستكمال محاسنها

هذه الاركان الثلاثة التي تقوم عليها البلاغة هي مايسميه الافرنج في غسبهم بالاختراع أو الايجاد والتنسيق والتعبير

فالاختراع هو استنباط الوسائل (*) الخليقة باقناع السامع وتحريك عواطفه

* هذه الوسائل يقال لها الادلة وتسهيلا لاستخراج هذه الادلة قدوضع الاقدمون من اليونان جدولا لما يمكن استعماله منها وأطلق العرب عليه اسم مواضع قال ابن سينا ان الحجج في الجدل والخطابة تكتسب من المواضع فمن طلب الاقناع وهو لا يعلمها كان كحاطب ليل يسعى على غير هداية لا لبخل في الموضوع بل لنقص في الاستعداد

وهذه المواضع تتناول (١) الحد (٢) التجزئة (٣) الجنس والنوع (٤) العلة والمعلول (٥) المقدمات والتوالي (٦) الظروف (٧) المقابلة والمشابهة واليك بيانها بايجاز نقلا عن المرحوم الاب شيخو اليسوعي

الموضع الاول : الحد

هو تعريف الشيء بجنسه وفصله كقولك الانسان حيوان ناطق أو بمميزاته وخواصه كقولك العقل وزير مرشد من أطاعه نجاه أو بالسلب والايجاب كقول الشاعر

ليس من يقطع طرقا بطلا   انما من يتقي الله البطل

أو بالتشبيه كقول ابن العربي

كتابي فيه بستاني ورامي   ومنه سمير نفسي والنعيم

الموضع الثاني : التجزئة

هي تقسيم الكلي الى أجزائه كما تقسم الكائنات الى حيوان ونبات وجماد أو الحياة الى طفولة وشباب وكهولة وهرم فيثبت الخطيب للكلي ما يثبت لاجزائه كقول أبي العتاهية يصف أن الموت يعم البشر ولا يرد غاراته احد

ما يدفع الموت ارجاء ولا حرس   ما يغلب الموت لا جن ولا أنس
للموت ما يعد الاقوام كلهم   وللردى كل ما شادوا وما غرسوا

أو ينفي عن الكلي ما ينفيه عن الاجزاء كما لو اراد أن ينفي السعادة عموما في الدنيا فينفيها أولا في أشياء الدنيا من مال وجاه وغير ذلك . أو يقرر

والتنسيق هو تنسيق وربط اجزائها بعضها ببعض وترتيبها ترتيباً جميلاً بحيث تكون أبين غرضاً وأحسن في النفوس وقعاً (**)

واحد ما أنكره على بقية الاجزاء كاثبات تهمة القتل مثلا على واحد بعد نفيها عن سائر المتهمين . أو يقرر لاجزاء الكل ما نفاه عن جزء واحد كقول الشاعر

الا كل شيء ما خلا الله باطل

الموضع الثالث : الجنس والنوع

الجنس يدل على كثرة مختلفي الأنواع والنوع على كثرة مختلفي الاشخاص مثلا : الحي جنس يشمل أنواع الانسان والحيوان والنبات والانسان نوع يشمل الزنجي والابيض وغيرهما وللاستدلال بالجنس والنوع طريقتان الاولى أن تطلق حكماً على الجنس ثم تثبته للنوع كما لواردت أن تبين أن القناعة محمودة فتثبت أولا أن الفضيلة محمودة لان الفضيلة جنس يشمل القناعة. والثانية أن تنفي عن النوع ما تنفيه عن الجنس

الموضع الرابع : العلة والمعلول

العلة على أربعة أنواع : الفاعلية وهي المؤثرة في المعلول كالبناء بالنسبة الى الدار والغائية وهي ما كان لاجلها البناء كسكنى الدار هو الغاية من تشييدها. والمادية وهي ما تألفت منه اجزاء الشيء كالحجارة والخشب في بناء الدار والصورية وهي ما قامت به ماهية الشيء كصورة الدار تميزها عن غيرها من المساكن كالقصر والخيمة والكوخ

والاستدلال بالمعلول هو إن أردت أن تثبت حكماً لامر أو تنفيه عنه أن تعدد مفاعيله الحسنة أو السيئة التي يستدل بها على صلاح العلة أو فسادها اذ لاشيء في المعلومات الا وهو في عللها فتبني حكمك على مقتضى ذلك لترغيب الجمهور فيه أو رده عنه

الموضع الخامس : المقدمات والتوالي

المقدمات ماسبق المقصود والتوالي ماعقبه مثلا ان أردت أن توجب السرقة على انسان أمكنك ذلك بما تقدم العمل من اختفاء السارق أو تجسسه وسوابق المتهم وبما تلا العمل كاغتنائه بعد الفقر وانفاقه عن سعة وغير ذلك

والتعبير هو افراغ المعنى في القالب الموافق والباسه الحلة اللائقة به ليصل الى قلب السامع من أقرب طريق وأسهل سبيل

الموضع السادس : الظروف

هي العوارض الطارئة على الامر المقصود فتلبسه لبوسها وتخرجه عن هيئته ونوعه وان لم تكن عن جوهره وحقيقته مثلا : حادث قتل فانه لا يتم الا في زمن ومكان محصورين وبهيئة معلومة وبغاية محدودة وعن أشخاص معروفين فالزمن والمكان والهيئة والغاية وصفات الاشخاص كلها ظروف خارجة عن الامر لا تمس جوهره لانها تتغير والقتل يبقى قتلا لكنها تغير صورته وتخرجه من نوع الى نوع فيكون اما تعديا واما دفاعا واما غير ذلك

الموضع السابع : المقابلة

هي في اصطلاح الحكماء امتناع وجود شيئين في موضوع واحد من جهة واحدة كالجهل والعلم والزهد والطمع وما شاكل فانها تتنافى في موضوع واحد فان كان زيد مثلا برا بابيه فينكر عقوقه له وفائدتها زيادة جلاء الموضوع كما يقول الشاعر وبضدها تتبين الاشياء والاحتجاج بالمقابلة على ثلاثة وجوه (١) أن تثبت أحد المتقابلين فتنفي الآخر كقول علي بن أبي طالب يبطل زعم قريش في جهله لأمور الحرب : قالت قريش ان ابن أبي طالب شجاع ولكنه لا علم له بالحرب . لله أبوهم ! وهل منهم أحد أشد مراسا وأطول تجربة مني لقد مارستها ابن عشرين وها أنذا قد نيفت على الستين . (٢) أن تنفي أحد المتقابلين فتثبت الآخر كقول الشاعر

وكيف تريد أن تدعى حكيما وأنت لكل ما تهوى تبوع

(٣) أن تستنتج من متقابلين نتيجتين متباينتين مثاله مقابلة الطرطوشي عدل السلطان وجوره

الموضع الثامن : المشابهة

هو عرض أمر على آخر ليتخذ منه دليل على المقصود فان قلت حياة الانسان كسحابة استدللت على فنائها وهي على ثلاثة وجوه (١) ان تعرض

ولـكن هذا التقسيم يشمل الـكاتب والخطيب معاً ولا يبدأ الفرق بين الاثنين الا عند الركن الثالث فان تعبير الخطيب يتبع الذوق وما

المقصود على ما هو أكبر وأكثر فتستدل على صحة ما هو أقل أو أصغر كقول أبي عبيدة يدعو أهل الشام الى فتح مدينتهم للعرب « لا يغرنكم عظم مدينتكم وتشييد بنيانكم وكثرة زادكم وهول أجسامكم فانا نزلنا بلادا أخصب من بلادكم وفتحنا أمصاراً ممصرة ومدائن أحرز من مدينتكم وخرج علينا اعلاج موفورة أقواتهم مدرعون مترسون لا يقر لوجههم قرار فهوى نجمهم وذهب أمامنا ريحهم ورددناهم على الاعقاب » . (٢) أن تعكس الآية كقول الغزالى يثبت أنه لا عجب من قصور الانسان عن ادراك الـكمالات الآلهية اذ لا يدرك الحقائق الطبيعية نفسها وهي أقرب منه :

أنت أكل الخـبز لا تعرفه كيف يسري فيك أو كيف يجول
كيف تدري من على العرش استوى لاتقل كيف استوى كيف الوصول

(٣) أن يعرض المقصود على ما يشبهه بالمساواة كقول علي أحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها

هذه هى المواضع التي يرجع اليها في كل بحث يراد الدخول فيه وهى ذاتية أي تستفاد من الموضوع نفسه كما ترى ولـكن هناك مواضع عرضية تستفاد من التقاليد بالاستشهاد بالوارد والـكتب المقدسة وأقوال المشترعين والحـكم السائرة وما الى ذلك أنتهى

(**) أما التنسيق وهو الركن الثاني من أركان البلاغة فهو الذي يقسم الخطبة الى ثلاثة أقسام المقدمة والاثبات والخاتمة

فالمقدمة تتناول براعه الاستهلال وتبيين الموضوع بصورة اجمالية واستمالة الحضور واسترعاء سمعهم وقد كان العرب يفتتحون خطبهم بالحمدلة ثم يردفون بالسلام على أنبياء الله وأصفيائه ويأتون بفصل الخطاب وهو أما بعد . أما اليوم فقد استغنى أكثر الخطباء عن هذه التقاليد مكتفين بمقدمة وجيزة فيها ثناء أو اعتذار أو تنويه باهمية الموضوع أوغير ذلك من الاستشهاد بمثل سائر أو حكمة دائرة مما يشوق الحضور ويحملهم على الاصغاء

والاثبات هو عرض القضية وتأييدها بالحجج وتعزيزها بالادلة والرد على مزاعم الخصوم الى آخره

والخاتمة هي آخر ما ينتهي الى اذن السامع من كلام الخطيب

يدعو اليه المقام من تقصير الجمل أو تطويلها والتكرار تارة والتسجيع طوراً وانتقاء الالفاظ الموسيقية الخفيفة على السمع المؤثرة فيه أثراً حسنا والتحليق في سماء الخيال حيناً والنزوع الى النكتة حيناً آخرمع تطبيق ذلك على ما يضاف اليه مما يكمله كالاشارات والملامح والنظرات ونبرات الصوت وجاذبية الخطيب وسائر ما يمكن الانسان الحي أن يضيفه من الحياة الى هذا الشيء الحي الذي يقال له خطابا

وها نحن أولاء نبحث فيما يتعلق بهـذا التعبير ويخلع على الانشاء الخطابي مسحة خاصة جاعلين فصلا آخر لما نسميه مكملات الخطيب فيرى القارىء بعد هذا الشرح صدق التعريف الذي وضعناه للبلاغة في أول الـكتاب

ان الكلمات التي تألف منها الجمل هي كحجارة الفسيفساء لها لونها الخاص وشكلها المحدود ولكنها تمثل صوراً مختلفة حسب تركيبها وتداخلها بعضاً في بعض . فكما انك قد تجعل من قطع الفسيفساء صورة تدل على القبح أو الحسن والألم أو اللذة وغير ذلك من الاضداد تبعاً للطريق التي تؤلف بها بينها كذلك تستطيع حسب اختيار الالفاظ وتركيبها أن تمثل هذه العاطفة أو تلك تمثيلا كاملا أو ناقصاً ولا يتم لك الانقان الا اذا وقع اختيارك في موقعه وكان لك اللفظ الموافق والتعبير الصادق

قال القلشقندي ان الالفاظ من المعاني بمنزلة الثياب من الابدان فالوجه الصبيح يزداد حسناً بالحلل الفاخرة والقبيح يزول عنه بعض القبح كما ان الحسن ينتقص حسنه برثاثة ثيابه وعدم بهجة ملبوسه والقبيح يزداد قبحاً الى قبحه .وقد قال أبو هلال العسكري في كتاب الصاعتين : ليس الشان في ايراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي وانما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف

من الألفاظ ما هو فخم كأنه يجر ذيول الأرجوان أنفة وتيهاً

ومنها ما هو ذو قعقعة كالجنود الزاحفة في الصفيح

ومنها ما هو كالسيف ذي الحدين

ومنها ما هو كالنقاب الصفيق يلقيه الشعر على بعض العواطف ليستر من حدتها ويخفف من شدتها

ومنها ما له وميض البرق

ومنها ما له ابتسامة السماء في ليالي الشتاء

من الكلام ما يفعل كالمقرعة وهو كلام الانتقاد والتنديد ومنه ما يجري كالنبع الصافي وهو المعد للرضى والغفران

ومنه ما يضيء كالشهب وهو كلام التعظيم

كذلك من الألفاظ ما ليس له طابع خاص فيؤتى به لتقوية الجملة ودعم المعنى فهو يلائم كل حال

تلك هي الأدوات المعدة لبناء الخطبة تتطلب مهندساً بارعاً ومصوراً حاذقاً ليؤلف بينها تأليفاً موافقاً ويرصفها رصفاً حسناً ويخلع عليها برداً جميل النسج لامع الديباجة يترجم معنى العظمة أو الجلال أو القوة كما في حجارة الفسيفساء . واذا وقف الخطيب عند انتقاء الألفاظ ولم يعن بالتأليف والرصف فاته القصد وقصر دون الغاية من البلاغة لأن الألفاظ حاصلة لكل إنسان دائرة على كل لسان ولا يتميز جاهلها إلا بفضل تركيبها قال الجاحظ . أنظر إلى قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر . استوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين » وما اشتملت عليه هذه الآية من الحسن والطلاوة والرونق والمائية التي لا يقدر البشر على الاتيان بمثلها ولا يستطيع أفصح الناس مضاهاتها . على أن ألفاظها المفردة كثيرة الاستعمال دائرة على الألسنة فقوة التركيب وحسن السبك هو الذي ظهر فيه الاعجاز

ان البلاغة لا تقتصر على إفهام السامع كلام القائل وإلا لتساوت الفصاحة واللكنة والملحون والمعرب وإنما المقصود الافهام على سنة كلام

البلغاء بأن « يجعل لكل طبقة كلام ولكل حال مقام » وان يخلع الخطيب من ألفاظه على معانيه حلة نور وضياء ليتسنى للسامعين أن يشاركوه في تلك الرؤيا الجميلة التي تتجلي في ذهنه وبين تصوراته ولا يكون الخطيب فيما يقول كالرجل الذي يكثر من الاشارات في الظلمة ثم هو يتعجب كيف لا يراه الناس

— ٣ —

ان الاساس الذي يبنى عليه الانشاء الخطابي هو العاطفة والشعور لأن الغاية الأولى من الخطاب هي أن تنقل ما في قلبك من الاحساسات إلى قلوب سامعيك قال دلامبر : « ان الذي يكتفي بالاقناع دون التحميس فهو متكلم لا بليغ ». وقال رفالور : « ان الأهواء والعواطف هي الخطيب في الجماهير ». وقال ميرابو: « السر كل السر في البلاغة الخطابية أن يكون الانسان ملتهباً بالعواطف » . قال الحسين : « وسمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته من قلبه بموضع » : يا هذا ان بقلبك لشراً أو بقلبي ، يريد ان الكلام الخالي من العاطفة قد يكون مفعما بالحقائق ، ولا يجد مع ذلك سبيلا الى النفس

وبما أن الشعور هو اساس الخطبة كانت البساطة أجمل حلة يلبسها الانشاء الخطابي ولا أعني بذلك أن يكون الكلام مبتذلا عامياً بل أن يوافق الزمان والمكان فللمعاني العظيمة كلام عظيم كما بينا . ولا يستلزم كون الجمهور من العوام أن ينزل الخطيب بأساليب التعبير عن مقامها بل عليه أن يرفع العامة نحوه لأن الفن فن أينما كان

وبعد العاطفة يأتي الخيال والتصور الشعري لما فيهما من حلو التنقل، الذي يسوق اليه التلاعب بالمعاني ونتيجته تجديد الانتباه عند السامع ودفع الملل عنه فضلا عما يكتسبه الخطاب من جميل الألوان وبديع الزخرفة وجديد الصور كما سترى في غير هذا المكان

ولكن للتصور والخيال حدوداً اذا تعداها الخطيب وقع فيما حاذره ومهما يكن من أهمية الموضوع وجمال الصور المعروضة فان الاسهاب أو الضرب على وتيرة واحدة يتعب السامع ويفضي به الى السأم . ألا ترى ان اطالة النظر الى الغدير الجاري والاستمرار على سماع خريره العذب يفضيان بنا الى النعاس؟ بل ان هدير الامواج المتصاخبة ، وزئير الرياح العاصفة ولعلعة الرعود على مافيها من تهييج الاعصاب تنتهي بنا الى النتيجة عينها اذا طال أمرها وتكرر حتى تألفه الاذن ويأمن منه الخاطر . كذلك انشاء الخطيب ادا ازدحمت فيه المعاني الشعرية وتكاثرت فيه صور الخيال ، فان العقل يتعب والانتباه يتبدد ولا يبقى من الخطاب في اذن السامع الا سلسلة أصوات متعاقبة كأنها آتية من أعماق النوم

أما الاكثار من الادلة المنطقية والاغراق في الشرح والتفصيل والاسهاب في البيان والتعليل فذلك جائز في نثر الكاتب لان للقارىء متسعاً من الوقت للتأمل والتبحر بخلاف السامع الذي يتلقى الجملة بعد الجملة ولا قبل له بالمراجعة أو التوقف بل تراه مضطراً الى اتباع الخطيب والتقاط أقواله المتدفقة على سمعه ولهذا كان من اللازم أن تأتي هذه الاقوال واضحة صريحة مختصرة تفعل بالجزم والتأكيد أكثر مما تفعل بالبرهان والمنطق

ان القارىء حر في مواصلة قراءته أو الوقوف للاستراحة والتأمل وأما السامع فهو معلق بشفتي الخطيب محمول معه في كل ناحية لا قبل له بالوقوف أو الاعراض دون أن تنفصم عرى الالفة بينهما فيذهب من الخطاب رونقه أو بعض رونقه ، وتفوت السامع فائدته أو جزء من فائدته

وبقدر ما يقتصد الخطيب على السامع في الفاظه وجمله يوفر من انتباهه لادراك معانيه والتأثر بها لان الالفاظ كما لا يخفى هي في آن واحد آلة للنقل وعائق دونه

فالانشاء الخطابي يختلف كثيراً عن الرسائل لاضطرار الخطيب أن يتبع فيه أحوال نفسه والمكان الذي يتكلم فيه والجمهور الذي يصغي اليه فتكون اللفظة في وزن الاشارة والمعنى في طبقة اللفظة فيفصل بين الجمل ويكرر بعض الالفاظ مسهباً هنا موجزاً هناك متمهلا في بعض المواضع مكرراً في غيرها واقفاً حينما يرى ضرورة الوقوف ليترك السامع مجالا يستوعب فيه ما أراد أن يلقيه اليه أو يقصر انتباهه عليه

على كل حال فان آفة الخطابة التطويل ومهما تكن العبارات متناسقة والانشاء رشيقاً والموضوع شيقاً والخطيب ممتازاً فما منع ذلك أن يكون السامعون بشراً مثله لهم آذان تصم اذا أجهدتها وبصر يكل اذا أتعبته ولا يجب أن ينسى الخطيب ان استعداد الجمهور أو قابليته للاصغاء ليست واحدة فعليه أن يختار أوسط الطرق في شرحه وبيانه .
يروى ان ابن السماك جعل يتكلم وجارية له تسمع فلما انصرف اليها سألها كيف سمعت كلامي قالت ما أحسنه لولا انك تكثر ترداده قال اردده حتى يفهمه من لا يفهمه قالت الى أن يفهمه من لا يفهمه يكون قد مله من فهمه

ان العبرة كل العبرة هي أن يحمل الخطيب عقول سامعيه في تيار العبارات الجميلة الموسيقية فيهز تلك العقول هزّ الطفل في السرير ويملك عليها جهد التفكير ويخدر فيها حاسة النقد ويجعلها في شبه غيبوبة من سكر الفصاحة ثم تأتي كلمة هي الكلمة الفاصلة المنتظرة مدعومة أحياناً بنبرة في الصوت أو ضربة على المنبر فتوقظ تلك النفوس وقد عرفته بعد إنكارها ونازعت اليه بعد نفارها

واللغة العربية قابلة للانشاء الخطابي أكثر من سواها لوفرة غناها بالالفاظ والتشابيه والاستعارات وما فيها من جزالة لفظ ومتانة تركيب ورنة تسجيع وما تقدر عليه من ايجاز واطناب فاذا ساعدها الاسلوب والخيال كانت على لسان البليغ خمراً تدب في النفوس وسحراً يسطو على الرءوس

وربما نزل الانشاء الخطابي أحياناً عن نثر الكاتب في دقة المعنى ومتانة المبنى الا ان في فصاحة اللهجة وجمال اللفظ وجهارة الصوت، وإجادة الاداء ما يستر هذا العيب فيخرج السامع مأخوذاً بما سمع ولو لم يحفظ منه شيئاً فانه انما أحس به من التأثير راضياً عما حصل عليه من اللذة

نختم هـذا الفصل بذكر ماورد على لسان بشر بن المعتم من غالي النصائح في تعليم البلاغة قال :

«خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك فان قليل تلك الساعة أكرم جوهراً واشرف حسباً وأحسن في الاسماع وأحلى في الصدور وأسلم من ناقص الخطأ وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم ان ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالفكر والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة ومهما اخطأك لم يخطئك ان يكون مقبولا قصداً وخفيفاً على اللسان سهلا وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه

« وإياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ومن أراد معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً ، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله الى ان تكون اسوأ حالامنك قبل أن تلتمس اظهارهما . ولا تهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما وكن في ثلاث منازل فان أولى الثلاث ان يكون لفظك رشيقاً عذباً وفخماً سهلاً ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً إما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت وإما عند العامة ان كنت للعامة أردت والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال.

« وكذلك اللفظ العامي والخاصي فان امكنك ان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك ان تفهم

العامة معاني الخاصة وتكسوها الالفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء فانت البليغ التام

« فان كانت المنزلة الاولى لا تؤاتيك ولاتعتريك ولا تسنح لك عند أول نظرك وفي أول تكلفك وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر الى قرارها والى حقها في اماكنها المقوية لها والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ولم تصل بشكلهـا وكانت قلقة في مكانها نافرة في موضعها فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن والنزول في غير أوطانها فانك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد وان انت تكلفتها ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محكماً لسانك بصيراً بما عليك أومالك عابك من انت أقل عيباً منه ورأى من هو دونك أنه فوقك فان ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى الصيغة ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة وتعصى عليك بعد اجالة الفكر فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك أو سواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فانك لا تعدم الاجابة والمؤاناة ان كان هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرف

« فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك وأخفها عليك فانك لم تعشقه ولم تنازع اليه الاوبينكما سبب والشيء لا يحن الا الى ما يشاكله وان كانت المشاكلة قد تكون في طبقات لان النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع المحبة والنهوة فهكذا هذا »

المذبح

— ١ —

الوقفة

كان الخطباء في القديم يتكلمون وقوفاً الا في الاحوال العادية البسيطة ولم يكن لخطيب الرومان ما يعيق حركاته فكان مستقلا عن المنبر لا يجد أمامه ما يستند اليه أو يضايقه

وكان من عادة العرب الوقوف على نشز من الارض أو القيام على ظهر دابة ورفع اليد ووضعها واتخاذ المخاصر بأيديهم والاعتماد على عصا أو قناة أو قوس والاشارة بها

وأول من عمل المنبر فيهم تميم الداري عمله للنبي وكان قد رأى منابر الكنائس بالشام

أما اليوم فأيان كان الخطيب فالغالب أن يضع أمامه شبه مائدة أو كرسياً أو غير ذلك وهو لايحتاج عند الانتبار الا الى اتخاذ وقفة طبيعية بعيدة عن التكلف مع اجتناب بعض العادات المستهجنة كوضع اليد على الجنب أو كثرة الحركة والتخطر جيئة وذهاباً

واذا كان في المنبر فائدة للخطيب الحديث العهد بالخطابة لانه يجد فيه شبه فاصل يحميه من الجمهور فالمقتدر الجسور يتضايق منه ويشعر كانه مأسور في قفص يضع حداً لحركاته وصوته

على كل حال يجب أن يكون الخطيب في وقفته معتدل القامة آخذاً بصدره الى الامام مقدماً رجلا عن الاخرى لاجل التوازن واراحة التنفس واسعاد الصوت

ولا بد له قبل الشروع في الكلام من التنظر حينا ليتم له السكوت

ويكون لديه متسع من الوقت للتعرف الى الجمهور ولا سيما اذا كان صعوده الى المنبر بعد نزول خطيب آخر عنه فان هذا التريث يساعد على إلفات نظرهم وجمع انتباههم بعد أن يتباعد عنهم صوت الخطيب السابق ويذهب صداه من آذانهم فيكون للكلام الجديد موقع الطف في القلوب ومخالطة أجمل للنفوس

— ٢ —

الصورة

لا ريب في ان جمال الملامح واعتدال القامة من الامور التي تساعد على اجادة التأثير غير انها ليست واجبة الوجود وهذا هو ميرابو خطيب الثورة الفرنسية كان من البشاعة على جانب عظيم ولم يمنعه ذلك البلوغ من تأثيره في معاصريه الى أبعد مدى وكذلك دانتون

ذلك لان جمال النفس والعواطف يتجلى عند الكلام في الوجه والعينين وهو الذي يخلع على سحنة المتكلم حلة من الرواء تأخذ بلب السامع فينسى معها قبح المنظر وقد كان أحد أشياع سوكرات يقول لتلميذه : تكلم حتى أراك

وحكي عن كوكلين الممثل المشهور انه لما ظهر على ملعب التمثيل في رواية سيرانو ده برجراك وهو يحمل أنفاً دونه أنف ابن حرب كاد الضحك يستولي على النظارة فما هو الا أن تكلم حتى ملك الآذان برخامة صوته وبلاغة الشعر الذي كان يلقيه القاء ليس وراءه معلق لطاعن ولا مأخذ لعائب فكانت النفوس تتهادى تحت نغماته الساحرة كما تتهادى مع النسيم أغصان الشجر

ثم ان في دمامة الخلق مفاجأة تحمل الانسان على الاعجاب بعد التعجب والاكبار عقب الازدراء لان الناس كما قال الجاحظ يقدرون عادة غير ما يضمر الخطيب فاذا بحسن كلامه قد تضاعف في صدورهم ونال منهم أكثر مما لو كان جميل الطلعة

ذكر الجاحظ ان أبا وائلة بن معاوية المزني أتى حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق فاستولى على المجلس ورأوه أحمر دميا باذ الهيئة قشفاً فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا اليه وقالوا الذنب مقسوم بيننا وبينك ، أتيتنا في زي مسكين تكلمنا بكلام الملوك

— ٣ —

الصوت

من المعلوم أن جهارة الصوت وحلاوة نغمته وصفاء رنته من الامور اللازمة لـكل خطيب لأن عليها المعول في ايصال كلامه الى آذان السامعين فقلوبهم وقد أسمى الاقدمون الصوت نوراً لأنه يحمل شعلة الضياء الى الاذهان وكم من الخطباء الذين يسحرون بصوتهم أكثر من بيانهم

لهذا كان من الواجب على كل من فرع المنبر أن يعنى بصوته عناية خاصة ويدرس درجة استعداده ومدى اتساعه ومقدرته على احتمال التعب فيصرفه فيما يلائم من وجوه الـكلام ولا يحمله فوق طاقته . فاذا كان الخطاب طويلا والمـكان واسعاً وليس في صوته سعة المكان والوقت لم يرتفع به عن طبقة معلومة ولا سيما في بداية الخطبة لئلا يسرع أليه التعب فيقصر عن مدى غايته . فضلا عن ذلك فان عليه أن يتمهل في النطق ليساعد الصوت فلا يفوت الاسماع من مقاطعه ما يضر بالنتيجة ويقف دون المراد

كانت الخطابة قديماً في الأماكن العمومية ولما خطب ارسامنيوس الثاني داعياً الى الصليبية كان الجمع المحتشدعظيما الى حدأن ضاقت به المدينة فأقاموا للبابا منبراً على أكمة في خارجها وبما أنه لا يمكن لصوت بشر أن يسمع كل هذا الحشد فقد كانت الناس تنقل كلامه من صف إلى صف

وكذا جرى في ارلندا عند ماكانت تتألب الناس لسماع اوكونل

غير أن الكلام في الفضاء يتعب الصوت كثيراً ومهما يستعمل الخطيب من الحكمة والتفنن في اسماع صوته لا يسلم من الكلل والعياء . أما في الاماكن المقفولة فمن السهل اجتناب الاجهاد وكل ما يتعب الحنجرة على شرط أن يكون شكل البناء في هندسته موافقاً لنقل الصوت فيسهل على الخطيب ايصاله الى كل ناحية

ان سرعة الصوت هي ٣٤١ متراً في الثانيــة على حرارة ١٦ سنتيكراداً وكلما خفت الحرارة خفت سرعته فالهواء الساخن هو اذاً أفضل لنقل الصوت وهذا ما يجعل الكلام أولى في الاماكن المحصورة . أما الريح فانها تؤثر في قوة الصوت لا في سرعته

وبعد أن يتبين الخطيب درجة صوته واستعداده ومداه وحالة المكان عليه أن يجتهد في تحصيل أقصى ما يمكن تحصيله من الصوت فلا يتوجه به إلى فوق أو الى الجانبين فيبدد أكثره سدى . وعليه أن يتلاعب به بين صعود وهبوط مغيراً في نبرته ونغمته ووقفاته حسب المعنى والصورة والعاطفة ابعاداً للملل جامعاً بين الصوت الطبيعي والصوت الموسيقي متحاشياً أن يضعف الصوت في آخر الجملة لئلا تنتهي هذه بين شفتيه كأنها تحتضر ولا تصل الآذان إلا مائتة

وسنرجع فيما بعد الى الكلام عن الصوت وطرق تقويته بالوسائل الطبية والقواعد الصحية

— ٤ —

الاشارة

لا يخفى أن للاشارة أهمية كبرى لأنها تشارك النطق في نقل الفكر متخذة لها البصر سبيلا فهي اللغة العمومية التي يفهمها كل انسان وما تحدثه من التأثير هيهات أن تأتي بمثله لغات العالم.

والخطيب البليغ قلما يحتاج الى الاشارة عند ما تتزاحم على شفتيه خواطر القلب والفكر. ومن الخطباء من لايستعملها أبداً كما أن منهم من يفرط فيها وهذا يرجع في الغالب إلى العادات والأخلاق. فالانكلوسكسون مثلا خلاف الشعب اللاتيني ولهذا عندما ذهب جوريس الى لندن للخطابة في جماعة الاشتراكيين لم يجد من النجاح ما تعوده في بلاده بل كان تعجب القوم منه أكثر من اعجابهم به

على أن الاشارة كما قلنا ضرورية للخطيب بوجه الاطلاق وبها يملك الانتباه ويصل الى ما يبغي من التأثير . والصوت مهما تختلف تموجاته لا يكفي للافادة والاقناع والتعبير عن معاني اللذة والالم والغضب واليأس والاحتقار وما الى ذلك ان لم تساعده حركات اليد وملامح الوجه وبريق العينين واشارة الطرف والحاجب

فضلا عن ذلك فان حركة الايدي فسيولوجية أي انها لازمة طبعاً لأنها تساعد على انماء الصدر واخراج الهواء كلما احتيج الى رفع طبقة الصوت كما في حال الغضب أو غيره. ولا يستطيع المرء أن يتكلم بصوت عال ويداه الى جنبيه دون أن يحس ضيقاً وتعبا.

وقد اتفق الفن مع المجين في الكلام العادي المعتدل كالوصف

مثلا يجب قلة الحركة واما في الحماسة وغيرها من مثيرات العواطف فالحركة الكبيرة الواسعة لازمة لتفريج الصدر الممتلىء هواء فلا ينال التعب من الخطيب او صوته

ولكن الاكثار من الاشارة باليد خطل وتبديد لانتباه السامع فعلى الخطيب ان يفهم ذلك فيقتصد فيها وان يتخذ الذوق مرشداً ودليلا

ويجب أن توافق حركة اليد المعنى وتسبقه فان قلت لانسان مثلا أخرج من هنا فأول ما ينتظره منك ان تمد يدك أو أصبعك نحو مكان الخروج كانك تدله عليه

وليست كل الاشارات لازمة في كل حال بل منها مالا حاجة اليه على الاطلاق ولا معنى له كمد الاصبع أو بسط اليد أو الضرب على المنبر عند كل جملة أو حك الرأس أو ما وراء الاذن

وتختلف الاشارة باليد حسب المكان فتكون واسعة في الهواء المطلق وقد يستغنى عنها في المكان الضيق فيكتفي الخطيب بملامح الوجه وحركات الطرف والحاجب

شروط الاشارة باليد

١ ـ أن لا تمر من أمام جسم الخطيب

٢ ـ أن لا تخفي وجهه

٣ ـ أن توافق المعنى فلا تكبر وتتسع لدى الشرح الهادىء

٤ ـ أن تكون سريعة في أولها كلما كان الكلام حاداً ملتهباً

٥ ـ ان تسبق الكلام ولا تأتي بعده

٦ ـ كلما احتيج الى الاشارة بيد واحدة تستعمل اليد اليمنى اذا كانت الرجل اليمنى الى الامام والعكس بالعكس

عيوب الاشارة

١ ـ الضعف : عند ما لا تأتي مع المعنى ولا تدعمه

٢ ـ الابهام : عندما يحتد الخطيب بلا سبب ويأتي بها غير مطابقة لمعنى الجملة

٣ ـ المبالغة : عندما يفرط فيها بلا حساب

٤ ـ الكذب : عندما تأتي مخالفة للفكر والعواطف

قلنا ان الاشارة لغة النطق ولهذا كان لها مثله قواعد فكما تتميز بعض الالفاظ عن سواها ويقف المتكلم عندها لأهميتها تمتاز بعض الحركات فيقف بها عند هذا الظرف أو ذاك الفعل أو تلك الصفة . واذا اجتمعت صفتان في جملة فالاشارة تكون للصفة الاخيرة كما لو قلت هذا رجل عاق خائن فالاشارة يجب ان تكون للخيانة دون العقوق وقس عليه . وكلما كان تدريج في التصورات كان مثله تدريج في الكلمات وكان مثله تدريج في الاشارة لأنها كما قلنا وأعدنا لغة مكملة للنطق وخادمة له وبدونها لا يكون للخطاب أثره المطلوب

وعلى الخطيب أن يكون طبعياً ويحمل في نفسه شرارة الايمان بما يقول ليؤثر من غير صراخ ولا تصنع . وكل المواعظ والخطب لا تجدي فتيلا اذا لم يعرف قائلها أن يترجم باشارة أو حركة ما لا يمكن الكلام ان يعبر عنه . وكم من اشارة تغني عن جملة طويلة

— ٥ —

السحنة

يجب ان تشارك ملامح الوجه والالحاظ حركات اليد ونبرات الصوت والا كان الخطيب بارداً لا حياة في بيانه ولا قوة في برهانه

ان في العيون لغة تمثل الرجاء والامر والتعجب والسرور واليأس والسخرية والاحتقار والغضب والحب وما الى ذلك . وفي ملامح الوجه الشباب والهرم والصحة والمرض والالم والقوة وما شاكل

فالشباب والصحة والغبطة تجدها في ارتفاع خطوط الوجه كما تجد المرض والضعف والالم في انخفاضها وعليه يسهل على الخطيب أن يخلق ملامح الوجه كما يريد لان الصورة البشرية لا تمثل في حال الراحة المطلقة الا خطوطاً مستقيمة . فان أردت أن تظهر انتباهاً بدون تهيج فبارتفاع خطوط الوجه قليلا، وان أردت اظهار الرضى والسرور زادت الخطوط ارتفاعاً الى أن تبلغ الفرح الاقصى فترتفع الخطوط ارتفاعاً عظيما . وان أردت أن تظهر قلقاً أو تفكيراً فيكفي أن تخفض الخطوط قليلا ، أو خوفاً فتزيد خفضها وهكذا الى أن تمثل لك الألم والعذاب بانخفاضها انخفاضاً كاملا ومتى أضفت الى هذا الانقباض انقباضاً عصبياً فقد عبرت أحسن تعبير عن الغضب والاحتقار والبغض

كل هذه الحركات لا يحتاج الى الدلالة بها في آن واحد ولا يستفيد منها كل خطيب والعبرة في أن يكون مجموع الهيئة مطابقاً معنى الكلام موافقاً فكرة المتكلم قال لاروشفوكولد : البلاغة هي في الصوت والملامح مثلما هي في اختيار الكلام

أما العيون فهي أصدق ترجمان عن العواطف المختلفة الكامنة في كل انسان فان أردت التعبير عن الغيظ أو الدهش أو الاعجاب أو الخوف فتحتها

وان أردت التعبير عن القلق والتواضع والمسكنة قفلتها

أو الجزع والاشمئزار والرياء وما شا كل أدرتها يمنة وشمالا

أو الدعاء والألم الشديد رفعتها الى السماء

أو اليأس والعار والتفكير والحيرة والخشوع والحياء خفضتها الى الارض

أو الشدة والاثباب والرجاء وغيره أثبتها في مكانها

والظفر والفرح وما اليهما يكسبهما تألقاً وبريقاً كما ان الضعف والمرض يكسوهما جموداً كالزجاج

أما إطباق الجفون عند التكلم أو الشخوص بالنظر الى جهة واحدة فهذا ما يجب على كل متكلم أن يتحاشاه

وهناك حركات أخرى للرأس والكتف وغيرهما نكتفي بالاشارة اليها لانها تخص الممثل أكثر من الخطيب

هده هي الشروط التي تجعل للمنبر ذاتاً معينة وكل خطيب حافظ عليها فقد استوفى حظه من البلاغة وكان له من التأثير أبعد مداه وأقصى مرماه . وقد وقعت على غير خطبة اشتهر قائلها بعلو الكعب في الخطابة فلم أجد لدى قراءتها ما يبرر تلك الشهرة مما يدلك ان الصوت وحسن الأداء وهيئة الخطيب هي من العوامل القوية التي تكفي أحياناً لتزين المنابر وتعطي وثابها سلطاناً على القلوب

ولابد قبل الختام من التنبيه الى اللباس وضرورة الاهتمام به لان

جمال الهندام يؤثر حتى في نفس اللابس ولهذا تجد للافرنج عناية خاصة به ولا يتسامح أحد منهم في اهماله . وقد رأينا تتميما للفائدة أن نورد في آخر هذا الفصل بعض الرسوم التي تستعمل فيها الاشارات وتدل على المواقف التي تنقبض فيها اليـد أو تبسط وتطوى الاصابع أو تنشر بالنسبة الى الخطيب والموضوع وما يقتضيه البرهان أو النفي أو التعجب أو الوعيد أو الاستعطاف أو النفور وما شا كل

خلاصة ما تقدم

كن في وقفتك بعيداً عن التكلف واجتنب الخروج عن المألوف في اشاراتك والقاتك وحافظ ما أمكن على صوتك الطبيعي ولا تقلد غيرك من الخطباء والوعاظ والممثلين

وجنب في بداية الخطاب عن التزام نبرة واحدة وحركة واحدة لئلا تشبه التلميذ في تلاوة درسه لا الخطيب في فيض بلاغته

وأفرغ من نفسك في صوتك وحركاتك لتخلع على كلامك برد الحياة ولا تنس أن تنوع نبرة الصوت دون أن تخرج به عن الطور الطبيعي فتتعب سامعيك

وعلى الجملة فلتكن البساطة دليلك والطبيعة هاديك فترسل كلامك الى أعماق القلوب بلا صياح ولا جهد ولا تدجيل

واذا لم تساعدك الطبيعة فكنت محروماً جمال الطلعة أو اعتدال القامة فان لك ما يغطي هذه العيوب ويستر تلك النقائص بالتمرن على حسن الالقاء والعناية بالصوت وتربيته بالرياضة لتأخذ من الدرجات العالية رنتها والوطيئة قوتها

واياك والاكثار من الاشارة أو الاتيان بحركات مستهجنة بجانب النحنحة والسعال وكل ما يدل على الضعف أو يسام الملل قال الشاعر :

أعوذ بالله من الاهمال ومن كلال الصوت في المقال

ومن خطيب دائم السعال

الخطيب والممثل

ان بين الخطيب والممثل فرقاً واضحاً وبوناً نازحاً ذلك لأن الاول يحتاج إلى علم وإلهام قد يمكن الثاني الاستغناء عنها . حسب الممثل أن يدرك غرض المؤلف ليقوم بأداء الواجب عليه خير قيام دون أن يكون للوحي دخل يذكر في تمثيله . لا أعني أن الممثل يجب أن يكون خلواً من كل علم بل أريد ان لهذا العلم وهذا الالهام عنده وجوهاً أخرى يصرفهما فيها . وهو على كل حال لا يرتبط بهما ارتباط الخطيب . ويرى القارىء في بعض هذا الفصل وما يليه مختصر ما وقفلو عليه في كتاب الاستاذ كركو « فن الكلام في الجمهور » مما يتعلق بهذا الموضوع

نعم من الممثلين مثل شكسبير وموليير قديماً وساشا كتري لعهدنا الحاضر من جمع بين الحالتين وكان العلم والوحي خير مرشد لهم فخلفوا أدوارهم على القرطاس والملعب معاً . مثل هؤلاء يفيدون سواهم ويخلعون على نهجهم في التمثيل مسحة خاصة لا تجدها في الآخرين إلا انهم قلائل لا يتجاوزن عدد الانامل

والغالب أن يكون الممثل كسائر الناس ثقافة ولكنه يستطيع أن يدخل في إهاب الذات الخيالية التي أوجدها المؤلف ويمتزج بها امتزاجاً سوياً . بل ترى بعض الممثلين دون سائر الناس في الاحساس والشعور وهم على الرغم من ذلك يجيدون تمثيل العواطف والاهواء الغريبة عنهم وكم من النساء من هن في حياتهن البيتية والاجتماعية أبعد خلق الله عن التأثر وعن كل فكرة للحب والتضحية وتراهن على الملعب يقمن بتمثيل أدوار الحب والتضحية أحسن تمثيل

هذا التناقض لا تجده في الخطيب فان جهد الممثل كما بينا هو أن

يصور ما يريد المؤلف دون زيادة ولا نقصان والبارع من وصل في التصوير الى أبعد غاية وأما الخطيب فهو لا ينفك عن التوليد حتى في اثناء الكلام وله مطلق التصرف في القلب والابدال والايجاز والاطناب حسب الاحوال

المجال الذي يتحرك فيه الممثل هو عالم الصور والخطوط ومجال الخطيب عالم الافكار والمعاني ومهما يكن من ثقافة الممثل والهامه فلا شأن لهما في اضافة شيء الى الذات الخيالية التي خلقها المؤلف ورسم حدودها ولا حق له أن يجري على لسان هذه الذات كلمة لم يرد المؤلف أن يقولها

قد يستطيع الممثل أن يتصور طريقة جديدة لتمثيل أبطال سوفوكل وشكسبير وموليير وهيكو غير التي عرفناها وألفناها ولكنه لا يكون في ذلك على وفاق والرأي العام

إذن مجال الممثل هو الخيال والصور والحركات ونبرات الصوت المختلفة وهي أمور يحتاج اليها الخطيب ولكنها ليست كل ما يحتاج اليه فان غاية الخطيب هي الالفاظ والمعاني التي تتزاحم في خاطره ويجيش بها صدره فيقذفها على لسانه وهي تتطلب حركات واشارات مختلفة غير أنه لا يضطر الى تأديتها بأمانة الممثل ودقته وجل ما يتحتم عليه هو أن يصور أفكاره ويعبر عنها على وجه لا يضايق السامعين ولا يزعجهم بل يشعر كل من حضر أنه أمام خطيب لا ممثل . وهذا الشعور من جانب الناس هو الذي يشد عرى الالفة بين الخطيب وسامعيه فيندفعون معه في الطريق التي يشقها لهم فلا يكاد المعنى أو العاطفة تنحدر من شفتيه حتى يكون قد تلقفها سمعهم وجنانهم

ربما كان هذا هو السبب في أن يتحاشى الخطيب أن يظهر سهولة عظيمة جداً في كلامه لأنه اذا تكلم بدون جهد ظاهر ومن غير أن ترتسم على محياه تلك السمات الدالة على التفكير والتعب والتأمل فكأنه منقطع عما يقول فيحمل السامع على الظن أنه لا يتكلم باخلاص وشعور بل يلقي درساً استظهره أو يمثل دوراً من الادوار وهو مما يضعف التأثير وينزل بالخطابة عن غايتها

فعلى الخطيب أن يظهر لسامعيه أنه هو نفسه مولد أفكاره فيحس هؤلاء انهم أمام رجل يقول ويفعل ويبرهن ويحلل وان هناك مسألة عقلية يشتبكون معه فيها وهي ليست من خصائص الممثلين

الخطيب والشاعر

إن سرعة البداهة وقوة التصور وجيشان الخاطر وكل ما يمتاز به الشعراء موجود عند الخطباء ومن الصعب التفريق بين الاثنين فكأن القوة العقلية الواحدة باختلاف وجهتها وتباين أسبابها قد أنتجت عند بعض النوابغ تارة بلاغة القلم وطوراً بلاغة اللسان

لا ريب ان اللورد بيرون الشاعر الانكليزي المشهور عندما كان يطوف بجواده فوق شواطىء الليدو وينشد في الفضاء أشعاره الغربية السامية ويلقي من حوله على الكائنات نظر السيد المعتز بمحتده المباهي بشبابه المفاخر بجمال طلعته ولمعان نبوغه وما أعطاه الله من واسع السلطان في مملكة الهوى ، مخضعاً لدى قدميه الفلاحة الحائرة والسيدة المتدللة ، منتصراً على مطامع الرذيلة ومخاوف الفضيلة ، لا ريب ان ذلك الامير لم يكن حينئذ شاعراً فقط بل كانت عواطفه الثائرة تتدفق من فؤاد خطيب فترتدي حلة الشعر بعد أن تفرغ في قالب خطابي بما فيها من غزارة وخيال وتصور خلاب

واذا نظرت فيما كتب هيكو أو نظم ظهر لك انه لم يكن يتخذ غير لغة الخطابة كأنما هو يتمرن على الدور السياسي الذي كان مخبأ له في طيات الزمان

وكذلك لامارتين فقد حرك أوتار قيثارته على منبر السياسة فأفلح خطيباً مثلما أفلح شاعراً

وكما كان بيرون الشاعر خطيباً كان جورس الخطيب شاعراً وقد روى مؤرخوه انه وهو في العشرين كان يتمشى كالملهم على شواطىء الكارون مردداً في الفضاء نثره الجميل . وله في كتابه « حقيقة العالم

المحسوس » صفحات شعرية خالصة كانه تحت وميض الالهام وبين عوالم الاحلام يسائل الوجود من كل نواحيه وينحني نحو الارض واضعاً أذنيه عليها مصغياً بروحه اليها كمن يجس أو يبحث عن نبض العالم

ومثل جورس كليانصو فهو في كتابته وخطابته شاعر . لما اشتدت الازمة السياسية بين فرنسا والمانيا وانفرجت مسافة الخلف في حادثة اغادير ذهب جورس الى برلين ليخطب في زملائه الاشتراكيين فأبت الحكومة الالمانية عليه الكلام وأرجعته من حيث أتى . وكان كليانصو يومئذ يحرر في جريدة الفجر فكتب فيها قطعة خالدة من النثر الشعري نورد للقارىء ما يحضر للذهن من مطلعها

« ان منع الكلام عن جورس يعرض المسيو بيلو ذلك الستار الذي يقوم من ورائه غليوم الثاني الى سهام الانتقاد المر . ما الفائدة أن يرث الانسان أعظم سلطة عسكرية في العالم وأن يمشي في زرد الحديد ويستل سيف الله الذي لا يفل ويتغنى بالنار والبارود ويملأ الآفاق وعيداً اذا كان يخاف من رجل اعزل سلاحه الكلام . . . يالها من شهادة ساطعة لعظمة الفكر . . . »

والمطلع على حالة السياسة لذلك العهد وما كان عليه غليوم من الحدة والخيلاء يدرك ما في هذه الاسطر القليلة من البلاغة

والامثلة كثيرة على وجود العاطفة الشعرية بقوة وغزارة عند الخطباء غير انها ليست واجبة الوجود فكما ان في المصورين من لم يبلغ شأو ليونارد ده فنسي فمن الخطباء من لا يعرف هذا الغليان ويستطيع بكلمة او صورة او صوت ان يحرك العواطف ويثير الاشجان . هكذا كان والدك روسو احد زعماء الفرنسيين في العصر الغابر القائل في احدى خطبه هذه الكلمة المأثورة : يجب على المالك ان يعمل وعلى العامل ان يملك

وفي العرب كثير من الخطباء الشعراء أو الشعراء الخطباء وقد ذكر الجاحظ فئة غير قليلة منهم نقتصر هنا على ذكر بعضهم مثل قس بن ساعدة الايادي والطرماح والكميت وغيرهم . ومن هؤلاء بشار الاعمى وكان شاعراً راجزاً سجاعاً خطيباً صاحب منثور ومزدوج . وكلثوم بن عمر وهو القائل :

اني امرؤ هدم الاقتار مأثرتي   واجتاح ما بنت الايام من خطري
أيام عمرو بن كلثوم يسوده   حيّا ربيعة والافناء من مضر
أرومة عطلتني من مكارمها   كالقوس عطلها الرامى من الوتر

ومن الشعراء الخطباء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار سهل بن هرون الملقب بزرجمهر الاسلام صاحب كتاب ثعلة وعفرة في معارضة كليلة ودمنة

ومنهم أعشى بن شيبان وهو القائل :

ولا أنا في أمري ولا في خليقتي   بمهتضم حقي ولا قارع سني
ولا مسلم مولاي من شر ما جنى   ولا خائف مولاي من شر ما أجني
وفضلني في الشعر والقول انني   أقول بما أهوى وأعرف ما أعني

ومن بواعث الاسف ان لا اجد سبيلا الى ايراد امثلة من خطب هؤلاء القوم ولعلي اوفق الى شيء من هذا في آخر الكتاب

ومن أبلغ الشعر الخطابي قصيدة عفيرة بنت عفان وكان بنو طسم قد انتهكوا حرمتها فقالت :

أيجمل أن يؤتى الى فتياتكم   وأنتم رجال فيكم عدد النمل
أيجمل تمشي في الدماء فتاتكم   عشية زفت في النساء الى بعل

فان أنتم لم تغضبوا بعـد هذه فـكونوا نساء لا تعاب من الـكحل
ودونكم ثوب العروس فانمـا خلقتم لا ثواب العروس وللغسل
فلو اننا كنـا رجالا وكنتم نساء لـكنا لا نقر على الذل
فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم وكونوا كنارشب بالحطب الجزل
والا تخلوا الدار ثم تحملوا الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللموت خير من مقام على أذى وللهزل خير من مقام على ثـكل
فدبوا اليهم بالصوارم والقنا وكل حسام محدث العهد بالصقل
ولا تجزعوا للحرب قومي فانها تقوم بأقوام كرام على رجل
فيهلك فيها كل وغل مواكل ويسلم فيها ذو الجلادة والفضل

الخطيب والخطباء

- ١ -

قلنا فيما مر إن المطالعة لازمة للخطيب لتوسيع دائرة ثقافته ونزيد الآن أن هذه المطالعة يجب أن يكون أكثرها في كتب الخطباء السابقين والمعاصرين . وعلى الخطيب أن يسمع ويرى كيف يخطب سواه سواء أكان من أشياعه أم أضداده ثم يشرح لنفسه ويحلل ما سمع محاولا أن يدرك السبب الذي من أجله نال هذا الخطاب استحساناً أو استهجاناً وما لذلك من صلة بالبيئة أو الرجل أو الخطاب عينه من حيث المعنى أو التركيب أو الاسلوب أو الأداء . وما فيه من اسهاب أو اقتضاب وهزل أو جد وغير ذلك مما يدخل تحت هذه المعاني أو يشترك فيها

ان للخطيب ولا سيما النائب والمحامي أضداداً ومنافسين والاضداد هم بين الجمهور وليس من الصعب أن يتغلب عليهم بالاقناع أما المنافسون فمن العبث أن يحلم باقناعهم وقد قال أحد نواب الفرنسيس : « أتى عليّ أربعون عاماً وأنا أسمع الخطباء فوجدت منهم من غير وجهة تصويتي ولكن لم أجد من غير رأيي » . ويمكننا قلب الجملة وعكس الآية دون أن نسيء الى الحقيقة فان من الخطب أيضاً ما يغير الرأي ولا يغير التصويت

وليس بعجيب أن يصعب على الخطيب اقناع منافسيه فكل يريد أن يكون لواء النصر معقوداً له لان الخطيب السياسي رجل عمومي وهو في أكثر الاحيان يعبر عن رأي حزبه فتراه مضطراً الى الثبات في موقفه حتى النهاية لا يزعزعه كلام الخصم مهما يكن لئلا يرمى بالخيانة والخروج على الحزب

وقد يحدث ان أحدهم يرى الحق في جانب خصمه فيبقى متشبثاً برأيه

لان هناك مفاجآت غريبة فكم من برهان يبدو ناصعاً ثم بعد تقليبه على وجوهه يتحقق بطلانه . وهذه المفاجآت هي التي تقضي على الخطيب بعدم الاستسلام لبلاغة خصمه بل تجعله ثابتاً في موقفه ولا سيما لانه ليس حراً بل عبد الموضوع الذي يدافع عنه فيجب أن يمضي فيه الى النهاية

وبعد أن يقوم الخطيب بالواجب عليه من الدفاع يستطيع أن يخلو في نفسه ويراجع آراءه ويقابل بين مركزه ومركز حزبه ويعتمد ما يوحيه اليه الضمير الذي هو أسمى قاض وأشرف حكم

على انه لا تعذر على الخطيب ولا سيما المحامي بما تهيئه البلاغة من وسائل التعبير أن يجد لغة لا يرتهن بها الا بقدر ولا تنال من شرفه وحسن [illegible] [illegible] يستطيع مثلا أن يقول الحق الحق اقول لكم فهو قادر على تحريف [illegible] ، كأن يقول مثلا موكلي يقول لكم كيت وكيت ولا يعرب عن [illegible] [illegible] هذا التركيب من تنصل خفي أو محاذرة [illegible] [illegible] الظاهر دون أن يضعف من أثر مقاله

[illegible] : كان [illegible] من عظماء المحامين في فرنسا يسمعان مرافعة [illegible] [illegible] في عرض كلامه بأدلة قاطعة وحجج دامغة وكان أحد [illegible] في [illegible] وعليه أن يرد على هذه المرافعة وبدفع هذه الادلة [illegible] [illegible] شيئاً يعجب به في المرافعة يميل نحوه قائلا [illegible] [illegible] قادراً أن يرد عليه فيكفي هذا يهز الرأس كأنه [illegible] هذا الصاحب اراك تشاركني في كل [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] عساك ان تقول بعد هذا وقد [illegible] [illegible] ولكني اعلم ما لك من [illegible] [illegible] و [illegible] احترامهم لآرائك واراهم الآن [illegible] حالاً تكون نتيجته خدمة [illegible] على كل ما تقول ليطمئنوا بعدها الى كلامي [illegible] من قوة دفاعي شيئاً

هنا تظهر بوجه خاص مزية الخطيب من حيث الهدوء والصبر والحلم فيكون كالملاكم يتلقى ضربات خصمه وهو ثابت الجنان لا يتزعزع عن موقفه مهما يطلق عليه منافسه من قنابل الغضب او يكشر له عن نواجذ الشر وسوء النية

لا اقول انه لا يحتاج أحياناً ان يظهر الغضب ويخرج عن طور السكينة لأن التظاهر بالغضب والحدة نوع من الحجاج المقنع ولكن فليكن غضبه خطابياً كما ذكرنا قبلا .

ومهما يكن الخطيب عظيما مشهوراً فان آداب المهنة تقضي عليه أن يكون واسع الصدر كثير الدعة واللطف والتودد نحو زملائه ومنافسيه فلا يتعذر عليه ان يجعل كلامه شديداً وانتقاده قارصاً دون ان يمس كرامة احد وهذا ايضاً من دلائل المقدرة التي يتصف بها الخطيب البليغ

والمنافسة الحقيقية التي تدفع الخطيب الى الاجهاز على خصمه وتفنيد مزاعمه بكل ما أوتي من شدة عارضة وفصاحة بيان لا تكون الا في المسائل السياسية والقضائية وأما في غير ذلك كالحفلات الادبية والمناظرات العلمية وسواها فالواجب يقضي بالتضامن بين الخطباء حتى اذا عرض للواحد ما يفسد عليه موقفه أو لا يترك لكلامه وقعاً حسناً كان للآتي بعده مجال لاصلاح هذا الفساد بالبناء على الخطب السابق والاشارة بمزاياه مما يساعد على ازالة سيء الأثر دون ان يحس الحضور بهذه المناورة الولائية لان للجمع عقلية تختلف عن عقلية الفرد وحكم الجماعة في مثل هذه الحفلات مقيد بحوادث الساعة والجمهور مستعد أبداً للحلم والمعذرة والرضى

اصلاح خطأ

في شرح الصور

الصفحة	خطأ	صواب
١ ـ ٤٨	رواية الدموع والحب	رواية الخداع والحب
١ ـ ٤٨	لو أن الدستور جسم قائم	لو بدا الدستور جسماً قائماً
٢ ـ ٤٨	تحكم يا الهي	تحكم أيها الألم
٤ ـ ٤٨	سقط هذا البيت تحت الرسم الاول : واسترجعي تلك اللحاظ فلم يعد لسهامها في مهجتي من موضع (رواية الخداع والحب)	
٤ ـ ٤٨	كنا رجلا	كنا رجالا
٥ ـ ٤٨	سقطت هذه العبارة تحت الرسم الاخير وبعد بيت المتنبي : « ان أكبر الحسنات التي يتمتع بها العالم لم تصدر عن أهل الغنى . . ولكنها خارجة من أكواخ بلا سقوف ، وبيوت سوّدها الدخان ، وأيد لم يضرها الصوم » (من خطاب للدكتور فياض)	
٦ ـ ٤٨	نتملى أمانينا	نتملى من أمانينا
٧ ـ ٤٨	اذا كنت بيننا نبياً لاسمح الله	اذا كنت بيننا لاسمح الله
٧ ـ ٤٨	غير سيفه فعصاك	غير سيفه ليعيش فعصاك
٨ ـ ٤٨	حير ألبابي فقالوا عصي	حير الناس فقالوا عصي



الخطب على المنـ

[illegible]
اعى فيها الوصف والاشارة
[illegible]



فقد وضعتها بين يديك
وجعلتها وقفاً عليك
(من خطاب الالم للدكتور
فياض)

فتبارك الى الابد أيها
الرجل العظيم
(من كريلبوه ...
للدكتور فياض)



غير دين الحب لا دين لنا
نحن في البؤس سواء والنعم
(من قصيدة الدستور للدكتور
فياض)

حذار يا قوم حذار
فقد تأتي ساعة تسقط بها
تي هذه الحواجز
(من خطاب للدكتور
..اض)







واذا كنت بينا بيد
لا سمح الله كعيسو عنده
حرمه أبوه من ندى السماء
ودسم الارض ولم يبق له
غير نيمه فمصائب سمعك
فعصا الرعيه سوه
وعصا السياده ترعى

(من خطاب يوم
انتخاب مطران
معروف للدكتور
داهش)



الخطيب . الجزء

— ١ —

ان بين الخطيب والجمهور صلة نسب وقرابة ولـكنها ليست متينة الأسباب في كل حين وهذا ما يجعل موقف الخطيب حرجاً فان الجمهور مؤلف من طبقات مختلفة وفيه العالم والأمي والقنوع اللين العريكة والعنيد الصلب الشكيمة فاذا كان الخطيب ممن ألفوا المنابر واعتادوا على تلك الوجوه الشاخصة اليهم والعيون المحدقة بهم فقد وجد السبيل ممهداً أمامه وكان فوزه أكيداً . واذا كان على خلاف ذلك أو هو يخطب للمرة الأولى فقد عز مطلبه ووعرت طريقه وكان من الواجب قبل كل أمر أن يستميل الحضور اليه وأن يهيء نفسه لقبول ما قد يصدر عنهم من ضجة أو ضحك أو مقاطعة أو غير ذلك ولا سيما اذا كان في الحفل كثير من العامة كما يحدث في الاجتماعات السياسية أيام الانتخابات وهذا أمر قليل الوقوع عندنا لعدم توافر الاسباب الداعية اليه

وربما ساء الخطيب قلة الاقبال عليه وعدم امتلاء النادي بالسامعين فعليه أن يدافع هذا الاثر ويتغلب على غيظه ويلقي خطبته بكل ما أوتي من حماسة حتى اذا خرج الناس معجبين بما قال كان لخطابه صدى جميل في المحافل والاندية لا يلبث معه أن يتغير اعتقاد الناس فيه فيأسف من قصر عن الحضور ويعاهد النفس ألا يدع فرصة تفوته فيما بعد لسماع هذا الخطيب

ومثل ذلك إذا كان السواد الاعظم من عامة الناس الذين لم تسمح لهم أعمال الحياة ومطالب الجهاد أن يتوسعوا في الثقافة فلا يكونن هذا مبطاً له لانه لا يشق عليه أن يستميلهم ويملك عليهم نفوسهم ولو لم يعوا كل ما يقول . فان السامع الامي كالفقير الذي يعرف أنه لا يستطيع

أن يلبس الخز والديباج ورونقه مع ذلك مرأى هذا الزهو وربما حصل عليه بالصور فهو أي السامع يدرك أن في كلام الخطيب ما يسمو عن مداركه أحيانا ولكن يسره أن يسمع ويرى وقد ترضيه من الخطيب بعض الظواهر أو الحركات فتلقي ستاراً على جهله ويمحو من ذهنه اثر العجز الذي هو فيه فيخرج مسروراً مسحوراً لان حكم الجماعات يكون عادة حسب الاهواء والشهوات والتأثيرات العصابية

وقد يقف خطيبان أو أكثر في ناد فيأتي الواحد بأبلغ ما يمكن في موضوعه من كل أطرافه ولا يترك شاردة الا قيدها ويقول الآخر كلاماً سطحياً لا يدل على تعمق في الدرس ولا اجهاد في البحث ولكنه يأتي ببعض النكت فيستطرفه فيناله من الاستحسان والتصفيق أضعاف ما [illegible] الاول إلا أن هذا الفوز عارض لا يلبث أن يزول عند ما ينقشع [illegible] تأثير الخطابة وينسى فوز هذا وذاك ويطلع القراء على فحواها [illegible] حكماً صحيحا بعيداً عن التأثيرات [illegible]

[illegible] العامة لان غايته في العالم هي التهذيب [illegible] والاصلاح [illegible] اليها بالازدراء سامعيه بل هو بهذا [illegible] وأول ما يجب عليه [illegible] [illegible] في مشاربهم أحياناً فقد [illegible] كلامه فالحكمة قد تأتي [illegible] على الهدى [illegible] للناس فلا [illegible]

من العقبات التي تعترض الخطيب وهو على المنبر أن لا يفهمه كل انسان فتقوم المعارضة من كل ناحية لان هذا الجمهور المختلف الطبقات والامزجه والتربية والغاية يسري فيه ألف مذهب وألف عقيدة وألف وهم وعلى الخطيب أن يؤلف بين هذه القوى المتباينة ليقودها في طريقه ولا يتم له ذلك الا بالصبر والحلم وطول الاناة والتسامح . وهو يسعى الى ارضاء هذا الجمهور ولكن لا من طريق الاكراه الذي يفضي الى الفشل فاذا دافع عن رأيه فلا يكون دفاعه بمحاولة هدم مذهب سواه فان لكل رأي مظهراً من مظاهر الحقيقة ولم نسمع أبداً أن كل الناس خرجوا من خطابه راضين مقتنعين . وقد كان والدك روسو يقول عن نفسه: « أنا أطلب من كلامي نجاحاً لا انصاراً » وهذا ما يجب على كل خطيب أو مناظر أن يضعه نصب عينيه وخطاب انطونيوس في مقتل قيصر أبلغ مثال نقدم على ذلك

وقد تكون المعارضة عن اخلاص أو سوء فهم أو حب بالظهور فاذا أدرك الخطيب ذلك عرف أن يعطي لكل مقام مقالا ولكل جواب حالا

أما المقاطعة فلا يجب أن تخرجه عن جادة الموضوع لأنه لا يخطب
واحد بل الجماعة وليمض في كلامه حتى النهاية الا اذا كان حاد الذهن
حاضر البديهة فيرد على من قاطعه بكلمة ثم يعود الى موضوعه . واذا
لم يوفق الى سرعة الرد فليمر بالاعتراض مر الكرام ذلك خير من أن
يقول قولا لامعنى له أو فيه شتيمة وسباب

لما اعتصب عمال السكة الحديدية في فرنسا وعددهم يربو على ١٥٠ الفاً
لجأ الوزير بريان الى اصدار أمر بالتعبئة العامة فكانت الواسطة الوحيدة
للتغلب على الثورة والضرب على أيدي المعتصبين بدون أن تسفك قطرة
دم . وكان ذلك في اثناء عطلة البرلمان فلما حان انعقاد الجلسة الاولى
للدورة الجديدة كانت الأفكار في غليان والخواطر في هيجان والنواب
تتحفز للوثوب معترضة على هذا العمل الاستبدادي في الظاهر . وجاء
بريان لتقديم الحساب فعلت الأصوات من كل جانب: «ليسقط الدكتاتور
ليسقط الكابورال» فوقف في مكانه جامداً الى أن أتيح له فرصة ليرفع
صوته فصاح بهم : «دكتاتور ! مسكين أنا . مالكم أيها السادة إلا أن
تقولوا كلمة أو تبدوا إشارة فأترك هذا المنبر بلا أسف وأعود إلى مكاني
في صفوفكم خادماً بسيطاً لهذا الوطن» كلمات وجيزة ولكنها قوية
بمعناها ومصادقتها جاءت كالماء على الجمر فهمدت حدة الثائرين
وخمدت ثورة الصائحين وأمكن بريان أن ينطلق في حديثه مبرراً عمله
[illegible] بصوت رضي والجلبة تنقلب سكوتاً والنفور يعود اطمئناناً
[illegible] لسان [illegible] نزل عن المنبر بين الهتاف والتصفيق
[illegible]

ولـكن ليس كل الخطباء مثل بريان ولم يؤت سرعة البداهة كل انسان وكم من أصحاب العقول الراجحة من يفتقر اليها فقد كان جاك روسو يقول عن نفسه: «لم أستطع عمري أن أؤتي جواباً موفقا الا ربع ساعة بعد الوقت الملائم »

والمقاطعة في حادثة بريان وقعت قبل أن يتكلم ولا أدري هل تكون أشد وقعاً لو جاءت في عرض الخطاب فكانت كالصخر الذي يلقى في مصب السيل فتنحرف به حيناً عن قصد السبيل . على كل حال ليس على الخطيب من جناح اذا لم يحضره الرد فوراً ولا يلام إلا إذا حاول الجواب فقال ما لا معنى له ولا فائدة منه . مثلا قد يسمع الخطيب مقاطعاً يقول : هذا كذب فيجيبه أنت الكاذب لا أنا مثل هـذا الجواب أفضل السكوت عليه الف مرة

ومن أجمل ما يذكر من المقاطعة عن خطباء العرب ما حكاه صاحب العقد الفريد عن زياد عن مالك بن أنس قال: «خطب ابو جعفر المنصور فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اتقوا الله فقام اليه رجل من عرض الناس فقال : أذكرك الذي ذكرتنا به فأجابه أبو جعفر بلا فكر ولا روية : سمعاً سمعاً لمن ذكر بالله وأعوذ بالله أن أذكرك به وأنساه فتأخذني العزة بالاثم لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين وأما أنت فوالله ما الله أردت بهذا ولـكن ليقال قام فقال فعوقب فصبر وأهون بها لو كانت وأنا أنذركم أيها الناس أختها فان الموعظة علينا نزلت وفينا انبتت» ثم رجع الى مكانه في الخطابة

ان السكوت والتوقف عن الكلام حيناً خير من الجواب على المقاطعة اذا قوبلت بمثل هذه البلاغه ولا سيما اذا كان المقصود منها

الاضرار بالخطيب والتشفي . وهذا السكوت الدال على عدم الاكتراث بالمقاطع يعد مقدرة وترفعاً محموداً

وأما اذا كانت المقاطعة للاستفادة والتعمق في البحث فقد يستطيع الخطيب مواصلة حديثه اكتساباً للوقت مع التفكير في الرد في آن واحد الى أن يحضره الجواب اللائق الموافق وهذا من وراء الغاية

ويستحسن بالخطيب حينما يخلو الى نفسه ان يعيد في ذهنه ما جرى في الحملة وليتذكر موقف الجمهور والمقاطعين وينظر فيما اذا كان قد أحسن التصرف ازاء هؤلاء وأولئك ففي هذا التفكير درس وعبرة

والخلاصة على الخطيب لدى المقاطعة اما أن يرسل جوابه كالسهم اذا ساعده المزاج والخاطر واما أن لا يعبأ بها خير من أن يتمتم كلاماً لا هو جواب ولا تتمة خطاب

بقي أن نقول كلمة عن التصفيق فلا يجب أن يغتر به الخطيب لانه لا يدل دائمًا على الاستحسان بل كثيراً ما يأتي تأدباً أو عادة أو دفعاً للملل وقد يكون لان الكلام مما يضحك أو اشفاقاً على الخطيب من التعب فكأنه فرصة للراحة . وقد يكون أيضاً لاجل اسكات الخطيب بعد أن أتعبهم بالكلام الذي لا طائل تحته

وكما يصفق النظارة أحياناً للممثل اكراماً للمؤلف لا له كذلك يصفق للخطيب لا لأجل الخطاب بل لنكتة جاءت موافقة لروح السامع أو لاسم عظم ذكره أو غير ذلك . بل لو لم يكن في التصفيق غير الاستحسان لما كفى دلك للدلالة على جمال الخطبة ولو أعطي الخطيب أن يتغلغل في القوم ويصغي الى همسهم لعاد دهشاً من كثرة ما يسمع من الطعن أو الانتقاد حتى من أقرب أصدقائه وأخلص المعجبين به

وعندي أن مقدرة الخطيب ليست في اثارة التصفيق بقدر ما هي في استجلاب السكوت ، السكوت التام الدال على الاصغاء والخشوع وأن عيون الجمهور شاخصة الى شفتيه وعقولهم متصلة بفكره وقلوبهم خافقة على صوته . وأنفاسهم محبوسة على كلماته . ذلك لان الخطيب يستولي على النفوس أكثر مما يستولي عليها المغني المطرب ولانه ساعة القول يخلق ما في نفسه ويقويه أو يضعفه حسبما يشاء فيسرع ويتمهل ويعلو ويهبط على وزن دقات القلوب . تلك هي مقدرة الخطيب التي تتجلى فيه في ساعة من الوحي مباركة

وبعد الختام فليصفق الناس ما شاءوا للتعبير عن اعجابهم واستسلامهم أما الخطيب فقد سبقهم الى ادراك هذا الاعجاب منهم وشعر به قبلهم

أما المكاء أي الصفير فهو علامة الاستهجان عادة ولكن الكثير من العامة في الشرق يجهلون معناه فيستعملونه في مكان تصدية الايدي فيختلط الحابل بالنابل ولا تعرف المراد منه تماماً

تهيئة الخطاب

من الخطباء من يفكر في موضوعه والقلم بين أنامله فيخط على القرطاس كل ما يمر بالخاطر على أمل العود اليه عند التبييض لتنقيح الفاظه وتهذيب عباراته

ومنهم من يستعد وهو يتكلم بصوت عال كأنه يملي على الذاكرة ما تجود به القريحة حتى اذا جاء وقت الكتابة أعادت الذاكرة كلامه وتمثلت لديه الالفاظ والجمل التي فاه بها فيتخير منها ما يشاء للصياغة والتعبير

ومنهم من يستعد وهو صامت كانه يسمع صوته الباطن بدون أن تحمله تموجات الهواء الى أذنيه

ومنهم من يجمد في مجلسه أو يروح ويجيء حيناً ناطقاً وحيناً صامتاً

كل ذلك حسب مزاج الخطيب وحالة نفسه والغاية واحدة وهي اعانة الذاكرة وتموينها بالتفكير والتبحر حتى اذا تجلى الموضوع في صورته الكاملة عمد الخطيب الى اختيار القالب الذي يريد أن يفرغه فيه

فاذا كان الخطيب ممن يستعدون وهم يكتبون فليس من الضروري أن يهتم كثيراً بالالفاظ اذا لم تقع موقعها ولم تصر الى قرارها لأن الاستعداد يكون في أول الأمر للمعاني دون الصورة والأحسن أن يمضي في كتابته بلا توقف وان خانته كلمة أو جملة جاوزها الى غيرها دون أن يضيع الوقت في البحث عبثا

كذلك اذا كان استعداده بالتكلم لا الكتابة فان التوقف لدى كل كلمة لا تحضر في حينها أو تركيب لا يصيب مقره يقطع عليه مجرى أفكاره والافضل ان يعتبر نفسه كأنه يتكلم أمام جمهور فلا يتلجلج بل يواصل كلامه كما يجري على لسانه صواباً أو خطأً ومتى انتهى من هذا التمرين

وقعد الى الكتابة أعادت عليه الذاكرة ما سمعت وكان له متسع من الوقت للتفكير فيما فاته واحضار ما غاب عنه وتهذيب ما وقع عليه

وليس هذا مما يستهان به اذا أخذ على نفسه أن يتنبه الى مواضع الضعف في المعنى أو التعبير في سياق كلامه فان الذاكرة تحفظ ذلك وتعيده عليه لدى تبييض الخطاب . فكما يمكن المرء أن يقول في نفسه قبل أن ينام أريد أن أستيقظ ساعة كذا وتلبيه الذاكرة فتوقظه في الأجل المضروب، يمكن الخطيب في عرض كلامه عند الاستعداد أن يذكر ويقول هنا يجب التطويل أو الاختصار أو ابدال هذا اللفظ أو تلك الجملة فيبقى هذا الطلب كامنا في العقل الباطن الى أجله المسمى فلا يفوت الخطيب عند تبييض الخطاب أن يتنبه اليه

قد لا يحتاج الخطيب الى كتابة خطبته بعد الاستعداد بل يكتفي بما يسمونه رؤوس اقلام ان كان ممن رزقوا ذهناً صافياً وذاكرة قوية ولكن الافضل ان يكتبها ليتعود على تهذيب عباراته وتنميقها وتنسيقها فلا يقع في التكرار الممل أو الضعف الشائن أو السهو المفسد

على كل حال لا ندحة له مهما تكن طريقته في تهيئة الخطاب من أن يتمرن على انتقاء الالفاظ الجميلة حتى تأتيه عفواً بلا جهد وتنساق اليه بلا تعب وهذا التمرين يجهله الكثيرون ومداره ان يجرد الرجل من عقله قوة يضعها شبه حاجز بين الدماغ واللسان فتكون رقيباً على الفاظه كرقيب الجمارك تفحص كل كلمة قبل أن تختلج بها شفتاه لتسمح بالمرور أولا تسمح وهكذا يتعود ان لا يلفظ الكلمة التي لا توافقه وهذا الضرب من التمرين يفيد كل انسان فقد تعودنا في حياتنا البيتية والاجتماعية أن نقول في كثير من الاحايين جملاً مجهزة لا تتبدل مما ضيق دائرة التعبير. ألا ترى اننا اذا أردنا مثلا ان نثني على خطاب نكتفي بالقول انه بليغ فكأننا في الواقع لم نقل ما يلزم لان هذه الصفة تنطبق على شتى الخطب وكان الاصح ان نذكر كل ما يمتاز به الخطاب ونوضح السبب الذي من اجله يستحق ان يوصف بالبلاغة . وكم من الناس رجالا ونساء يكتفون للحكم على الاشياء بمثل هذه الجمل العمومية فيقولون هذا عظيم وهذا هائل وهذا عجيب وماشا كل كل ذلك اجتناباً للتعب وتخفيفاً للجهد في البحث عن الكلمات الموافقة التي لا تلبينا عادة وهي لو حققت قريبة المنال بقليل من هذا التمرين

جاء في العمدة لابن رشيق : العمل هو على جودة الالفاظ وحسن

لسبك وصحة التأليف . ألا ترى لو أن رجلا أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر وفي الاقدام بالاسد وفي المضاء بالسيف وفي العزم بالسيل وفي الحسن بالشمس فان لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن للمعنى قدر اه : يعني انك اذا اكتفيت بالقول هذا الرجل كالأسد أو كالبحر أو ماشاكل فكأنك لم تقل شيئا

ومثل هذا ما ينظمه الشعراء من قصائد المدح والرثاء فان فيها من الاوصاف ما ينطبق على كل انسان وبالاحرى لا ينطبق على أحد وقلما نجد بينها ماعليه طابع خاص فلا يستطاع نقله من موضعه بل هي تقريباً كالنقود المستعملة بين ايدي الناس ربيبة العادة والتقليد

هذا داء يجب معالجته والا افضى الى فقر اللغة ونزول اللسان عن ملكة الفصاحة وحسب الكاتب او الخطيب أن ينتبه اليه ليمرن نفسه تمرينا خاصا يجعله في مأمن من الوقوع فيه ويفتح امامه أبوابا جديدة يدخل منها الى ميدان واسع يجول فيه القلم واللسان جولات لا تمر بحلم

وبعد انتهاء الخطيب من ترتيب خطابه واستيفاء معانيه واختيار الفاظه وتقسيمه حسب القواعد والاصول كما ذكرنا في الانشاء الخطابي يبقى عليه الرجوع الى المطلع ليتقنه بوجه خاص ويتفنن في مقدمته تفنناً مستحباً يأخذ بألباب السامعين ويعدها إعداداً حسناً للاصغاء اليه والتقاط ما ينثره على مسامعهم مما وقف على تحضيره وقته وعقله وقلبه .

ثم الى الختام فيمر عليه نظر المنتقد الصارم ولا يدع فيه أثراً للضعف أو اللبس بل يوفيه حقه من القوة والجلاء والبلاغة حتى يترك في الآذان صدى جميلا مستطيلا

والافضل له بعد ذلك أن يستظهر خطبته ليكون فعلها أوقع في النفوس ولا بد هنا من الفات القارىء الى أمر من الاهمية بمكان فان استظهار الخطبة لا يقصد به القاؤها غيباً كما يلقي الطالب أمثولته المدرسية فان هذه الطريقة فضلا عن انها لا تجلب الاقناع ولا تجيد التأثير تقف حاجزاً دون تقدم الخطيب في فنه لانها لا تعوده على الاستفادة من موقفه ومن حالة السامعين وتأثرهم ليزيد أو ينقص من كلامه ويسهب أو يختصر في شرحه بل تجعله كالتلميذ أو الممثل لا كالخطيب . وكم من فرصة تعرض للمتكلم في القوم فتوحي اليه معاني جديدة هي بنت الساعة من تصفيق الناس أو هتافهم أو تململهم أو ضحكهم أو مقاطعتهم أو غير ذلك فاذا كان يلقي خطابه عن ظهر قلبه أي مقيداً نفسه بجمله المرصوفة لا يغير كلاماً ولا يبدل نظاماً فقد فاته الاستفادة من تلك الفرص التي قد تقال فيها جملة واحدة مرتجلة فتفعل فعل الخطاب بأسره

الارتجال

الارتجال في اللغة هو الكلام من غير تهيئة أو الابتداء به من غير فكر وقد كان أمراً طبيعياً ميسوراً للعرب قال الجاحظ : وكل شيء للعرب فهو بديهة وارتجال وكأنه الهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكر ولا استعانة وانما هو ان يصرف وهمه الى الكلام والى رجز يوم الخصام أو حين ان يمتح على رأس بئر أو يحدو ببعير أو عند المقارعة أو المناقلة فما هو الا ان يصرف وهمه الى جملة المذهب والى العمود الذي اليه يقصد فتأتيه المعاني ارسالا وتنثال عليه الالفاظ انثيالا ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحداً من ولده

وكانوا أميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر وهم عليه أقدر وأقهر وكل واحد في نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع وخطباؤهم أوجز والكلام عليهم أسهل وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا الى تحفظ أو يحتاجوا الى تدارس وليس هم كمن حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان قبله فلم يحفظوا الا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم من غير تكلف ولاقصد ولا تحفظ ولا طلب

أما اليوم فالارتجال نادر بل اذا حققت لم تجد لحقيقته أثرا لان الخطيب العصري لا يستطيع التكلم بما لا يعرف فاذا كان عارفاً موضوعه فالتهيئة حاصلة فعلا بما وعاه ذهنه بالدرس والمطالعة والاختبار

قد يراد بالارتجال تركيب الالفاظ وتنسيق الجمل وافراغ المعاني في قالب من التعبير يوافق مقتضى الحال وهذا أيضاً صعب على خطيب اليوم لانا نتكلم عادة غير اللغة الفصحى التي نكتبها فنضطر بحكم الامر الى

إعمال الفكرة عند الخطابة واجهاد الذاكرة ولو قليلا وتوزيع قوة العقل بين النظر في الموضوع والعناية بالالفاظ في وقت واحد وهذا كاف لاضاعة رونق الخطاب والتقصير في اجادة الالقاء . قال الدكتور تولوز وهو من علماء النفس والاخلاق : ان الارتجال آفة الخطابة لانه يلقي المعنى على عواهنه دون أن ينضج بالتفكير ، فكيف اذا أضفت الى ذلك الركاكة التي مني بها أكثر الناطقين بالضاد للسبب الذي ذكرناه

ومن قرأ مشاهير الخطب التي قيلت ارتجالا وحفظت بالاختزال دهش لما فيها من الضعف والتناقض ولم تخف عليه عيوب الانشاء عند قراءتها على الرغم من وميض البلاغة الظاهر من خلال السطور .

أما اذا كان المقصود بالارتجال جملة قوية تأتي عرضاً في الخطاب رداً على اعتراض أو اسهاباً في البيان أو شرحاً لسؤال ففي وسع كل خطيب ولكن أن تقال خطبة كاملة من غير استعداد فلا يقصر الخطيب في مادته أو بيانه فهذا ما لا أظنه يتاح لكثيرين

انظر الى خطباء الاقدمين فانهم كانوا يهيئون خطبهم قبل القائها وهذا ما حفظها لنا لان الاختزال لم يكن معروفاً لذلك العهد . وقد كان شيشرون يهذب خطبه ويتمرن عليها قبل ان يلقيها وكان كانتليان من أساتذة الخطابة عند قدماء اللاتين يرى ان الارتجال لا يتهيأ للمرء الا في أواخر عمره بعد ان يكون قد ذاق الامرين في تعلم صناعة الخطابة . وشد بوسويه كان يكتب خطبه ومسوداتها لا تزال محفوظة ولما ظهرت الثورة الفرنسية اضطر القوم الى الارتجال في كل ناد وموقف ولكن ذلك لم يمنع ميرابو ان يكتب أكثر خطبه قبل القائها وكذلك روبسبير

وانظر الى خطباء اليوم فلا تجد فيهم من لا يعترف بالاستعداد قبل التكلم كالمحامي لابوري وهنري روبير وفيفياني وجورس وغيرهم ومما قاله هنري روبير « انا لا اعمل والقلم في يدي ولكني لا انقطع عن التفكير أينما وجدت ولا يزال دماغي في عمل مستديم فتتوارد الجمل على خاطري وأرددها في باطني » ولله در ابن المعتز حيث قال

والفكر قبل القول يؤمن زيغه   شتان بين روية وبديهة

واذا اضطر احد هؤلاء الى الكلام عن غير استعداد كما كان يحدث في ندوة القضاء او النيابة فللاعتراض او دفع حجة اواقامة برهان اوشرح حادث وهذا سهل لأنه لا يخرج عن موضوع الفه ودرسه وعالجه غير مرة بالقلم واللسان

ولا أدري وأيم الحق ما الفائدة من التكلم بدون سابق استعداد في حين أن الخطيب قادر أن يأخذ للامر أهبته وان يفرغ الطوق في إلباس موضوعه حلة انيقة فان كانت عايته المباهاة فقد أخطأ المرمى لأن ما يعرفه من الموضوع هو كما بينا ضرب من الاستعداد فضلا عن ذلك فانه من المستحيل أن تأتي عباراته برشاقة وانسجام وتنساق اليه بمثل النظام الذي يكون من وراء الاستعداد

ثم ان ظهور الخطيب بمظهر المرتجل الذي لم يستعد فيه ازدراء بالحاضرين واعتداد بالنفس يقرب من الدعوى الفارغة المذمومة فان هذا الجمع الذي أزعج نفسه وجاء لسماعه وربما كان فيه من أقبل من مكان سحيق غير مبال بالمشقة وبعد الشقة يستحق شيئاً من العناية والاكرام فلا يليق بالخطيب أن يقدم له إلا أحسن ما عنده

وهناك فئة تدعي الخطابة وقد يكون بينها من يحسنها ولكن عيبها الصحيح أبداً عدم الاستعداد كأنه مزية كبرى تشهد لهم بسرعة الخاطر وذلاقة اللسان ولا يفهمون انهم في هذه الدعوى الباطلة من جلب الملام أحياناً و للهزء دائماً

وقد ذكرنا رأي الدكتور تولوز في ان الارتجال آفة الخطابة لاستحالة التدقيق والتعميق و نضيف اليه أن فيه مجازفة كبيرة لأن الدخول في موضوع قد يكون يسيراً ولكن الخروج منه عسير والمتكل على قدرته ليفرغ المنبر مرتجلا هو كالمحارب الذي ينزل الى الميدان أعزل حتى مل أن يستعد سلاح عدوه أو كالقائد يهاجم خصمه وهو لم يرسم من قبل خطة للهجوم كمن المرتجلين الذين يصدق فيهم قول الشاعر:

ويرتجل الكلام وليس فيه سوى الهذيان من حشد[1] الخطيب

---

(١) الحشد أي الاستعداد

لا أريد أن أدخل اليأس الى قلب القارىء الراغب بهذه الصناعة فالارتجال ممكن لقوي الارادة بعد أن تتوافر لديه الوسائل من سعة اضطلاع ومطاوعة قريحة وتصرف روية وحضور ذهن وامتلاك لناصية اللغة والذي يأمن العثار فيه هو المطبوع الحاذق الواثق بغزارة مادته ورباطة جأشه لأن الثقة بالنفس وحدها كافية لأن تنفي عنه كل خاطر يورث اللجلجة والنحنحة والانقطاع والبهر وما إلى ذلك

وهو وإن يكن أبعد منالا على المتكلمين بالعربية للاسباب التي أشرنا اليها من انفراج مسافة الخلف بين العامية والفصحى فلا يعد مستحيلا ولا سيما في مصر حيث الفطرة كفيلة بهبة المصريين من ألسنة ذلقة وألفاظ حسنة وعبارة جيدة تجعل العامية قريبة من الفصحى فلا تجفل الاسماع منها

وفي الارتجال تظهر مزية المطالعة التي ذكرناها في فصل سابق فاذا كان الخطيب ممن لم يتكلوا على بلاغتهم الفطرية بل اجتهد بتوفير رأس ماله والاكثار من محفوظه « تقد سبلت عليه مستودعات النثر وذللت له صعاب المعاني وفاض على لسانه وقت الحاجة ما كمن من ذلك بين ضلوعه »

والحاجة في الارتجال تدعو اليها حاجات كثيرة ولا سيما اذا كان الخطيب ممن أحرزوا قسطا وافراً من الشهرة فطاول الاعناق اليه أيان وجد ولا يجد مناصاً من تلبية الدعوة فبفضل المرس الطويل وسابق الاجتهاد يستطيع الخروج من هذا المأزق سالم الشهرة محفوظ الكرامة

بل ان الاستعداد الكامل وتهيئة الخطبة بألفاظها ومعانيها قد

لا يقي الخطيب من الذهول والنسيان فيقف على المنبر وقد غاب عنه كل ما أراد أن يقول فاذا كان قادراً على الارتجال فلا يعدم مخرجاً لطيفاً بل تأتيه النجدة من حيث لا يدري ويفيض لسانه بالفصاحة جائلا جولات طويلة دون أن يشعر السامع بأنه يقول غير ما أعده كتابة

وافضل الوسائل للتمرين على الخطابة والارتجال هو أن ينشأ في المدارس شبه مجامع علمية لعدد محدود من الطلبة فيطرح عليهم موضوع المناظرة في الجلسة ويجرب كل واحد أن يقول ما يحضره شارحاً أو معترضاً فان الالفة تمنع الكلفة وتشجع التلميذ على القول بين قوم هم أصدقاؤه وزملاؤه ومن رتبته سناً وعلماً فلا يعاب على خطأ ولا يؤاخذ بتقصير

وبعد المدرسة على طالب هذه الصناعة أن يتعود الكلام كل صباح ولو بضع دقائق وان لا يكتب مراسلة قبل أن يتكلم بمضمونها بصوت جهوري

الموج

يقال رتج الانسان يرتج رتجاً اذا استغلق عليه الكلام فلم يقدر عليه وهي آفة تصيب الخطيب والممثل على السواء. والسبب استعداد خاص مرجعه في الغالب على الخطيب بصعوبة الموقف وخوف من الفشل وتهيبه الجمهور المصغي اليه. ولاعلاقة للرتج بعزلة الخطيب من البراعة والشهرة بل كلما عظم قدره وذاع ذكره وكان له نباهة في قومه كان أعلم من سواه بمصاعب الكلام ومبلغ ما ينتظره الناس منه وقد كان ولذلك روسو لا يفارقه الخوف عند التكلم على الرغم من العلم والخبرة فكانت يداه لا تفارقان المنبر حتى آخر كلمة يلفظها لئلا يشعر بارتجاجها

أعراض الرتج

يصيب العقل ضرب من الشلل تجمد به القريحة وتظلم الذاكرة فتتناول الانسان رعدة يرافقها شبه انحلال في العضل وتراخ في المفاصل ووهن في العزيمة ويتصبب العرق من جسمه ويأخذه دوار في الرأس وطنين في الأذن. وقد يبلغ هذا الطنين عند بعض الممثلين انه لا يسمع ما يقول هو نفسه. وتسرع دقات القلب كأنه يحاول الخروج من الصدر وتعلو الوجه صفرة شديدة وتضطرب وظائف المعدة والامعاء اضطراباً مزعجاً مؤلماً

وقد يأتي الرتج في منتصف طريق أي بعد أن يكون الخطيب ابتدأ ابتداء حسناً واخذ ينطلق في خطابه بسهولة وتلاعب وانشراح. كالصاعد جبال الالب يقطع مسافات شاسعة ويجتاز عقبات كأداء دون جهد كبير واذا به لحادث تافه لا يذكر يحس دواراً قوياً فيضطر الى

الوقوف أو القعود وأحياناً لا يجد الراحة والطمأنينة الا بالاضطجاع على الثرى . هكذا تكون بداية الخطاب حسنة واصغاء الجمهور تاماً ثم تعرض حركة او اشارة من احد السامعين سواء أكانت استحساناً أم استهجاناً فتفسدالموقف على الخطيب فيجدنفسه قد تغير كل التغير وأسدل على بصره وبصيرته ستار من الظلام تضيع فيه كل حيلة

معالجته

تكون بتربية الارادة وأن يذكر الخطيب ان الرتج ليس عاراً واذا عد من لم يعرف الرتج عظيما فأعظم منه من عرفه وتغلب عليه . متى يضع الخطيب نصب عينيه هذه الحقيقة ويذكر ان السواد الاعظم ممن جاء ليسمعه انما جاء لاعتقاده انه يسمع شيئاً لا يعرفه أي انه يعتبر الخطيب أوسع منه علماً ولو في هذا الموضوع وحده وانه يحترم مقامه متى يذكر ذلك تهن الامور عليه فيجتهد أن يكون عند ظنهم فيه وهكذا يستطيع محاربة هذه الاعمال المنعكسة بالارتداد عليها بقوة الارادة .

ومن الأمثلة الجميلة على الجهد الذي في وسع الخطيب انفاقه لمكافحة هذه الآفة والانتصار عليها ما ذكره غامبتا عن نفسه قبل اعتلائه المنبر للمرة الاولى . قال في احدى رسائله الى أبيه : «يوم الخميس سأقف خطيباً لأول مرة واني لمنتظرهذه الساعة بفارغ الصبر وقلبي يخفق لها ولكن لا عن خوف أو اضطراب ولن يكون لي في الحياة يوم اسعد من هذا اليوم » ان للخطوات الاولى في طريق المهنة بهجة خفية فيخال لك ان الارض تهتز تحت قدميك ويلم برأسك دوار يشبه السعادة ثم يأتي العقل

فيثبت من حولك كل شيء لتمشي نحو شواطىء المستقبل المجهول

لقد رأيت وسمعت في شهور ثلاثة كل ما اطلع فن المحاماة من كبير وصغير فالحق أقول لك بلا تيه أو خيلاء ان آمالي قد تضاعفت وثقتي تزايدت . كنت منذ ستة أشهر أرجف فرقاً لدى فكرة النضال مع هؤلاء أما الآن فقد غلبت الجسارة عليّ وما فاز باللذة غير الجسور »

وبما انه لا علاقة بين الرتج ومنزلة الخطيب كما قلنا فلا خطر منه بل ربما أفاد في بعض الاحوال بما يبعث في المرء من العزيمة لمضاعفة الجهد والبلوغ الى الغاية

-٢-

جاء في العقد الفريد ان أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه فقال : «أيها الناس ان أول مركب صعب وإن أعش تأتكم الخطب على وجهها وسيجعل الله بعد العسر يسرا ان شاء الله»

ولما قدم يزيد بن أبي سفيان الشام واليا عليها لأبي بكر خطب الناس [illegible] ثم أرتج عليه فعاد الى الحمد لله ثم أرتج عليه [illegible] : [illegible] على [illegible] بعد العسر يسراً و [illegible] بيانا و [illegible] الى امام [illegible] أحوج منكم الى امام قائل»

وصعد ثابت بن قطنة منبر سجستان فقال الحمد لله ثم أرتج عليه فنزل وهو يقول

فان لا أكن فيكم خطيبا فانني ... بسيفي اذا جد الوغى لخطيب

فقالوا له لو قلتها فوق منبر لكنت أخطب الناس

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما ولي فحصر : «فقال أيها الناس اني [illegible] الا أقوم [illegible] فيكم [illegible] عنه فان الله يحول بين المرء وقلبه [illegible] الى امام عدل أحوج منكم الى امام خطيب [illegible] وأ[illegible] عما نهاكم الله عنه ورسوله [illegible]

[illegible] المنبر فأرتج عليه فمكث مليا [illegible] الكلام شيء أحيانا [illegible] عليه و[illegible] طلبه ولربما [illegible] الساطي لآبيه (أي [illegible] تدره وقد يرتج على

البليغ لسانه ويختلج من الجريء جنانه وسأعود فأقول ان شاء الله

وصعد ابو العنبس منبراً من منابر الطائف فحمد الله وأثنى علبه تم قال أما بعد فأرتج عليه فقال أتدرون ما أريد أن أقول لكم قالوا لا قال فما ينفعني ما أريد أن أقول لكم ثم نزل فلما كان في الجمعة الثانية وصعد المنبر وقال أما بعد أرتج عليه فقال أتدرون ما أريد أن أقول لكم قالوا نعم قال فما حاجتكم الى أن أقول لكم ما علمتم فلما كانت الجمعة الثالثة قال أما بعد فأرتج عليه قال أتدرون ما أريد أن أقول لكم قالوا بعضنا يدري وبعضنا لا يدري قال فليخبر الذي يدري منكم من لا يدري ثم نزل

وأتى رجل من بني هاشم اليمامة فلما صعد المنبر أرتج عليه فقال : حيا الله هذه الوجوه وجعلني فداها قد أمرت طائفي بالليل أن لا يرى أحداً الا أتاني به وان كنت أنا هو ثم نزل

وخطب عبد الله بن عامر بالبصرة في يوم أضحى فأرتج عليه فمكث ساعة ثم قال والله لا أجمع عليكم عياً ولؤماً من أحد شاة من السوق فهي له وثمنها عليّ

نظرة تاريخية

قلنا في صدر هذا الكتاب ان الخطابة فطرية في الانسان ولهذا لم تخل منها أمة حفظ التاريخ آثارها في الماضي البعيد كان بوذا يخضع الجماعات لكلامه المنزل وكانت نبوات اسرائيل تهز الملوك والامم وكانت اليونان حافلة بالبلغاء أي برجال قادرين على تحريك الشعب واثارته لعهد اوميروس وقبل ذلك العهد . ولكن فرقاً عظيما بين هذه البلاغة الغريزية التي يولدها وحي الساعة ثم تزول غير تاركة أثراً والبلاغة العلمية التي امتازت بها العصور الراقية حيث كان الخطيب على حظ موفور من الفلسفة والتاريخ فكان يلقي خطابه بعد التفكير ويمكنه أن يكتبه فلا تزيل تلاوته من حسنه شيئاً

هذه البلاغة الناتجة عن درس واف وثقافة عالية وتمرين متصل أوجدتها أثينا في القرن الخامس قبل المسيح ولا بدع فقد كانت أثينا حينئذ في مكان سام من الحضارة وشرف باذخ

وكانت فرص القول متعددة لان الاعمال الاجتماعية كافة كانت تقضى جهاراً ويجادل فيها أمام الجميع وكانت المسائل العمومية تدرس في مجتمع الامة حيث يحق لكل وطني أن يبدي رأيه وكانت الدعاوى تعرض أمام المحاكم الشعبية فيباح الكلام لمن أراد حتى المتهم . اضف الى ذلك اجتماعات الادب والعلم التي لم يكن للسياسة ضلع فيها فكانوا يجتمعون للذة الحديث والاستمتاع بخطيب بارع يتحدث اليهم في موضوع ما كالثناء على الابطال الذين يموتون في سبيل الوطن أو غير دلك

وأشهر خطباء هذا العهد برقليس وازدكرات واشين ودمعوستين

وقد كان كل من الآخرين زعيما لحزب سياسي فقضيا العمر في عراك محتدم الوطيس والغاية واحدة هي استقلال الوطن

كان فيليب ملك مكدونيا ينتهز فرصة الخلف القائم بين اليونان للوصول الى اخضاعهم بالقوة او الحيلة وكانت أثينا منقسمة على نفسها قسم محافظ على ماضيه المجيد غير راض عن فيليب ولكنه ضعيف الهمم لما ساور الاخلاق من التخنث فلا قبل له بالاقدام على امر ذي خطر . وقسم يريد التحالف مع فيليب . وكان ديموستين حاملا لواء الحزب الوطني واشين الحزب المكدوني وهذا الاختلاف في موقف الخطيبين خلع مسحة خاصة من البلاغة على كل منهما فلم يخل كلام اشين من الزخرفة بينما كان ديموستين كله روحاً وعصباً . وكانت بلاغة ديموستين مرآة صادقة لخلقه القوي الشديد ونفسه الملتهبة فكانت تنم عن عزيمة أدبية لا تقهر يصرفها ذهن صاف ومنطق محكم وإباء عظيم ولسان هجام فكان تارة جاداً وطوراً هازلا يستخدم العقل حيناً والعاطفة حيناً آخر هادئاً غضوباً سامياً بسيطاً وحتى اليوم لاتزال خطبه حافظة أثرها فنشعر به عند قراءتها كانما صوته يدوي في آذاننا

وكان صوت ديموستين آخر ما سمعته أثينا فان البلاغة لا تعيش بدون الحرية وقد جاء انتصار مكدونيا ضربة قاضية عليها فبقيت أثينا مدينة العلم والادب وملاهي العقل ولكن منابرها اقوت من تلك النغمات الساحرة . ان الذي جعل اثينا عاصمة اليونان هو حياتها السياسية فلما ذهبت أغراض السياسة منها اصبحت كباقي المدن وامتدت فتوحات الاسكندر ناشرة بذور اليونانيين في الشرق فقامت عواصم جديدة كالاسكندرية وانطاكيه وبيزانس وبقيت اثينا كمعرض يؤمه كل من رام الدرس أو التذكر

ولم يبلغ خلفاء ديموستين شأوه في الخطابة ولكن اليهم يرجع الفضل في نقلها الى الذرية فان المدارس التي اقاموها في الشرق كان يحج اليها الناس من كل صوب لتلقي هـذا الفن وعلى هذا الوجه لقنوا الرومان اسرار بلاغتهم فتعشقها هؤلاء واخذوا يدربون عليها فتيانهم كما يدربونهم على الحرب والحكم الى ان ظهر شيشرون الذي يعده العارفون اعظم محام لذلك العهد فأرجع للخطابة مجدها السابق وسطع نوره في سمائها كما سطع من قبل نور ديموستين ثم هوت الخطابة ثانياً وانطوى بساط عزها باستعباد اوغسطس روما كما استعبد فيليب واسكندر اثينا

ولما جاءت النصرانية بعثت فيها روحاً جديدة وقام الرسل بالتبشير فكانوا كلهم خطباء إذ قيل لهم سيروا في الارض وعلموا الامم . وقامت الكنائس على آثارهم وكان هذا الدين الحديد في حاجة الى ارشاد مستديم فنبغ خطباء بين آباء الكنيسة أعادوا للخطابة بعض عزها . ولكن لم يطل ذلك بما تطرق الى اللغة اللاتينية من فساد لغات غريبة هي لغات الامم المختلفة التي دخلت تباعاً في المسيحية وأخذ العي يملك ألسنة الوعاظ فصاروا يكتفون بنسخ الخطب القديمة والقائها حتى اذا طلع القرن السادس استيقظت الخطابة من ضجعتها وارتفعت أصوات جديدة كان لها أثر عظيم في الجماعة وكان من نتائجها الحرب الصليبية وبلغ من تكاثر عدد الخطباء لذلك العهد والمنافسة فيهم ان الخطابة تحولت الى واسطة للكسب وجمع المال والهدايا فنزلت عن مقامها السامي وأخذت معالمها تتلاشى الى العصر السابع عشر عصر بوردالو وفنلون وبوسيه ودعاة الاصلاح والندوة العلمية التي أنشأها الكردينال رشليو

وأجمل أيام الخطابة بعد هذا هي أيام الثورة الفرنسية فقد اطلعت

في عشر سنوات من الخطباء عدداً لم يسبق به عهد وكان للبلاغة فيها من التأثير ما لم يعرف له نظير والسبب في ذلك ضخامة المشروع الذي أخذت الثورة على نفسها القيام به ثم السلطان الفجائي الذي التى اليها الدهر مقاليده والسرعة الهائلة التي كانت تتعاقب بها الحوادث ثم شدة العراك يختلط به غريزة البقاء وأعمار الخطباء وأكثرهم في شرخ الشباب . ولم تكن مشاغل النفوس وأهوالها لتمنع أولئك الخطباء من العناية بالشكل والديباجة والباس أفكارهم حللا براقة من الالفاظ والتعابير بما اتصل بهم من تأثير العصر السابق فكانوا يكتبون خطبهم قبل القائها على ان ذلك لم يكن مانعاً لهم من الارتجال عند الضرورة فتجيء أقوالهم ملتهبة كنفوسهم وفيها على بساطتها من اخلاص الشعور وتأثيرات النفس ما يبعث القوة والحرارة

ثم خفتت الاصوات بمن طاحت بهم الثورة من أمراء الكلام وأقوت المنابر وجاء نابوليون وكان لا يحب الخطباء فلم يعد يسمع الا ضجيج المواقع الحربية ومن فوقها صوت واحد يملأ الكون هو صوت ذلك القائد العظيم

أما اليوم فقد عادت الخطابة الى الظهور بنور أسطع ومجد أكمل وامتدت أعراقها الى كل فؤاد ونشرت ألويتها في كل ناد من قصور الأغنياء الى أكواخ الفقراء ومن معاهد العلم الى ملاعب التمثيل الى مجالس الادب والطرب الى الاسواق

— ٢ —

كان للعرب في الخطابة نصيب وافر أتاحه جوهم وأحوال معاشهم وأخلاقهم وآدابهم فان الحرية التي وجدوا فيها واستنشقوا هواءها والحماسة التي طبعوا عليها والاحساس الشديد الذي اشتملت عليه نفوسهم جعل للبلاغة أثراً عظيما فيهم فكانت الجملة البليغة تقيمهم وتقعدهم بما تثيره في خواطرهم من النخوة لحماية جار أو أخذ ثأر أو غير ذلك

وكانوا متفرقين قبائل ونحل متعودين على الغارات والحروب فوجدوا في الخطابة عوناً لهم على الحض أو التحذير والترغيب أوالتنفير والمفاخرة أو المناظرة بل صارت عندهم مظهراً من مظاهر الفروسة يتباهى بها شجعانهم ويدرب عليها فتيانهم كما في الرومان

قال عمر بن العلاء كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة وتسرعوا في أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر

ولم تكن الخطابة عندهم كما أشرنا اليه في الكلام عن الارتجال عن طول فكرة واجتهاد رأي ودراسة كتب بل بديهة وارتجالا وكان لهم بها غاية الاعتناء حتى قال صاحب الريحان والريعان: « ان ما تكلمت به العرب من أهل المدر والوبر من جيد المنثور ومزدوج الكلام أكثر مما تكلمت به من الموزون الا انه لم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره لان الخطيب انما كان يخطب في المقام الذي يقوم فيه

في مشافهة الملوك أو الحالات أو الاصلاح بين العشائر أو خطبة النكاح فاذا انقضى المقام حفظه من حفظه ونسيه من نسيه بخلاف الشعر فانه لا يضيع منه بيت واحد». قال: «ولو لا أن خطبة قس بن ساعدة كان سندها مما يتنافسه الانام وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي رواها عنه فأطار ذكرها ما تميزت عن سواها »

قال القلقشندي: «وليس ما أشار اليه لرفض النثر عندهم وقلة اعتنائهم به بل لسهولة حفظ الشعر وشيوعه في حاضرهم وباديهم وخاصهم وعامهم بخلاف الخطابة فانه لم يتعاطها منهم إلا القليل النادر من الفصحاء المصاقع فلذلك عز حفظها وقل عنهم نقلها وقد كانت تقوم بها في الجاهلية سادات العرب ورؤساؤهم ممن فاز بقدح الفضل وسبق الى ذرى المجد ويخصون ذلك بالمواقف الكرام والمشاهد العظام والمجالس الكريمة والمجامع الحفيلة فيقوم الخطيب في قومه فيحمد الله ويثني عليه ثم يذكر ما سنح له من مطابق قصده وموافق طلبه من وعظ يذكر أو فخر أو صلاح أو نظام أو غير ذلك مما يقتضيه المقام

قال الجاحظ: «ونحن أبقاك الله إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والارجاز ومن المنثور والاسجاع ومن المزدوج وما لا يزدوج فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان أن يقول في مثل ذلك الا في اليسير والنزر القليل ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي في أيدي الناس للفرس انها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة اذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد وغيلان وفلان وفلان لا يستطيعون

أن يولدوا مثل تلك الرسائل ويضعوا مثل تلك السير وأخرى انك متى أخذت بيد الشعوبي فأدخلته بلاد الأعراب الخلص ومعدن الفصاحة التامة ووقفته على شاعر مفلق أو خطيب مصقع علم ان الذي قلت هو الحق وأبصرت الشاهد عياناً فهذا فرق ما بيننا وبينهم فتفهم عني فهمك الله ما أنا قائل » انتهى

وكان يسمى خطيب القوم الزعيم أو المدره وأشهر خطباء الجاهلية قس بن ساعدة وعمرو بن كلثوم واكثم بن صيفي التميمي والحارث بن عباد وقس بن زهير وغيرهم

ولما جاء الاسلام ساعد على انتشار الخطابة تأييداً للدعوة الكبرى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكان لها من آي القرآن معين لا ينضب وأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثلا أو اشارة أو تهديداً حتى لقد يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات كما فعل مصعب ابن الزبير لما قدم العراق وأراد أن يحرض أهله على الطاعة لأخيه عبد الله (أنظر القسم الثالث في خطب العرب)

واتخذت الخطابة حينئذ صبغة غير التي كانت عليها في الجاهلية فكانت لغتها أرق وأعلى وأصفى وعلا شأنها إلى درجة لم يسبق بها عهد لانصراف العرب عن الشعر اليها واعتمادهم في الدين والسياسة عليها

وأعظم خطباء هذا العصر بعد النبي صلعم وقواده وخلفاؤه

ولما ثارت الفتن بعد مقتل عثمان وافترق المسلمون أحزاباً اشتدت الحاجة اليها عند كل فريق للدفاع عن مبادئه والطعن في خصومه فكان في الجانب الواحد العراقيون وعلى رأسهم علي بن أبي طالب وفي الجانب الثاني الشاميون وفي طليعتهم معاويه

ثم أخذت تضعف ملكة الخطابة بعد الفروغ من الفتوح والاستسلام الى الترف والرضاء حتى صدر الدولة العباسية فاذا بالخلفاء ودعاتهم ينعشونها بعد الذبول وينهضون بها بعد الخمول كالمنصور والمهدي والرشيد والمأمون وداود بن علي وخالد بن صفوان وشبيب بن شيبة

ولما استوثق الأمر لبني العباس وقام الاجناب والموالي بسياسة الدولة وقيادة الجيش وقل النضال باللسان والسنان ذهبت البلاغة من الألسنة وحل محلها الرسائل والنشرات وقصرت الخطابة على الجمع والعيدين والاملاك . على أن الخلفاء أنفسهم ما برحوا يخطبون الناس ويؤمونهم الى عهد الخليفة الراضي فلما غل الديلم أيديهم وحصروهم في دورهم عهد بالخطابة والامامة الى الأكفاء من العلماء فنبغ في آخر هذا العصر طائفة من الادباء شهروا بهذا النوع من الخطابة كالبغدادي والتبريزي ولما استعجم المسلمون وملك العي ألسنة الوعاظ فلم يستطيعوا انشاء الخطب في الموضوعات المختلفة عمدوا الى استظهار خطب أسلافهم كابن نباتة المصري وأخذوا يرددونها فوق المنابر من غير فهم لمعناها ولا علم بمغزاها ودرجوا على هذا الحال المخزية تلك القرون الطويلة حتى اليوم ، (راجع تاريخ الآداب العربية لزيدان والادب العربي للزيات والوسيط للشيخ احمد الاسكندري والشيخ مصطفى العناني)

واليوم بعد أن تنوعت أسباب الحياة وتعددت مظاهر الاجتماع وتبدل شكل الحكومات وتغيرت سلطة الحكام عادت الخطابة الى الظهور لابسة ثوباً آخر غير ثوبها الديني فظهر في الشام لعهد غير بعيد أديب اسحق والشيخ العارار وغيرهما وفي مصر عبد الله النديم والشيخ محمد عبده ثم مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول أعظم خطباء هذا العصر الحاضر وأقوامهم حجة وأبعدهم تأثيراً وأكثرهم بياناً

أنواع الخطابة

قسم اليونان قديماً الخطابة الى ثلاثة أقسام تبعاً لاحوال الزمان من ماض وحاضر ومستقبل وسموها البيانيـة أو التثبيتية والشوروية والقضائية فالاولى تختص بالزمن الحاضر لمدح فترغيب أو ذم فتنفير والثانية تتعلق بالمستقبل لتحمل السامع على جلب النفع للجمهورية أو دفع الضرر عنها أو للحض على الحرب أو السلم وسن هذه الشرعة أو تلك واستمالة رأي الجمهور أو التغلب عليه ، وكانت تجري في الهواء المطلق أمام جماعات متهيجة بين الصخب والضجيج والمقاطعة والمعارضة والتكذيب وكان على الخطيب أن يقاوم أمواج هذا العداء المتلاطمة من حوله وكثيراً ما خطب غير واحد في آن واحد كأنما هم في ميدان قتال لا مجال كلام . ولما بطل الاجتماع في « الفورم » أي المحل العمومي أو السوق بطل هذا النوع من الكلام

والقسم الثالث أي القضائي يختص بالماضي والغاية منه الدفاع عن متهم أو الحكم عليه وهو من خصائص المحامين

هذا التقسيم وضعه ارسطو الذي جعل الخطابة أحد أقسام المنطق وألف فيه كتابه الذي عربه بشر بن متى في القرن العاشر ولخصه ابن رشد . وقد مشى على هذا التقسيم أرباب الخطابة عشرين قرناً . أما اليوم فقد تبدلت أحوال المعيشة المدنية والسياسية والدينية مما دعا الى تبديله . دعك من انه تقسيم بعيد عن الدقة والاحكام لتداخل الواحد في الآخر من هذه الاقسام فان الخطيب الذي يتكلم عن الماضي لا بد له من الالمام بالحاضر والمستقبل على سبيل الاستشهاد وغيره وكذا العكس

والمعول عليه اليوم هو تقسيم الخطابة الى خمسة أنواع : سياسية وقضائية وعسكرية ودينية وعلمية

الخطابة السياسية

كان لهذا النوع من الخطابة فيما مضى المكان الاول لصلته المكينة بحياة الامة في هبوطها وصعودها فان الامة كانت كل شيء وكان عليها مدار العمل في الحرب والسلم فكان تأثير البلاغة أقرب واسطة الى تحريكها ودفعها في طريق معينة . ولا يخفى ان المقصود بهذا القول الامم الحرة كاليونان والرومان وأما المستعبدة المغلوب على أمرها فلم تكن تعرف هذا الفن ولا تحلم به لضعفها وخنوعها وامتناع الكلام عليها

وكان الخطيب السياسي مضطراً الى الالمام بأسرار الدولة الداخلية والخارجية والتعمق في درس أحوالها المادية والعسكرية فضلا عما يحتاج اليه من حدة خاطر وشدة عارضة وحماسة في القول . ونحن مهما نحاول اليوم أن ندرك بالتصور مقدار الأثر الذي كان لرجل مثــل ديموستين أو شيشرون في أمته لا نصل الى الظفر بالحقيقة . نقرؤهم بعد هذا العهد العهيد فنعجب بهم أيما اعجاب فكيف لو سمعناهم واتصلت بنا نظراتهم وشهدنا عن كثب حركاتهم وما يتجلى فيها من روحهم الثائرة

وقد أتى على الخطابة السياسية زمن تقلص فيه ظلها من بعد العصر الروماني الى أن عادت الى الظهور في بلاد الانكليز لعهد اللورد شاتام ثم دزرائيلي وغلادستون وفي فرنسا إبان الثورة وبعدها وكانت أيام الثورة كما مر بنا أجمل عهد للخطابة بمن لمع فيها من أشباه برناف ودانتون ودمولن وميرابو وغيرهم ولم يقصر في ميدانها من أتى بعدهم من نابوليون الى بنجمان كونستان والجنرال فوي وغامبتا وتيارس الى كلمنصو وجيورس وفيفياني وبريان وبوانكارة لعهدنا هذا

على أن خطباء العصور الاخيرة لم يبلغوا شأو الاقدمين ولم يكن لهم تلك الجولات الواسعة التي عرف بها الأولون فقد صار من النادر أن يقف الرجل في مكان عمومي ويخطب في قوم لا معرفة له بهم وأغلب ما تكون الخطابة السياسية اليوم في محفل يضم اخواناً وزملاء كندوة النواب مثلا ثم ينقل البرق الخطاب مختزلا الى أطراف المعمور فلا يكون له في المطالع أثره في السامع ولهذا قصرت غاية الخطيب على التدقيق في موضوعه وفي أرقامه الاحصائية متجافياً ما أمكن وجوه الاستعارات وضروب المجاز وما الى ذلك وقد كفى مثلُ هذا ميرابو وتيارس وغامبتا ليدركوا ما وراء النهاية من التأثير في معاصريهم

ومن نواب الفرنجة اليوم من لا يعتمد على العاطفة في خطبه بل ينهج سبيل المنطق البحت كأنه يتكلم في جمع من مديري البنوك ورجال المال والتجارة كما ان منهم من لا يزال يلجأ اليها كلويد جورج وبريان طلباً للاجادة في التأثير على انه تأثير وقتي لا ندري ما بقي منه بعد ربع قرن . وانا نقرأ خطب كليمانصو التي كانت تثير الزوبعة في مجالس فرنسا فيعترينا الدهش ولا نعرف من أين كان لها هذا الوقع

واذا راجعت خطب مصطفى كامل وسعد زغلول لم يخف عليك ما فيها من سلاح العاطفة فتبين لك ان هذه الطريقة لا تزال أقرب الطرق الى قلوب الجماعات

والخطابة السياسية من أصعب فنون الخطابة لان حركات الامة هي نتيجة مد وجزر يولده سيطرة الافراد على الجمهور أو الجمهور على الافراد فيتبع الخطيب هذه الامواج آمراً في القوم أو خاضعاً لرغائبهم فلا هو واثق بالنجاح كل الثقة ولا يائس منه كل اليأس

وقلما نجد من خطباء السياسة من لم يذق في احتكاكه بالجمهور لذة الانتصار أو لوعة الانكسار وهذا يدلك على حرج الموقف وما يقتضيه من درس عقلية النواب والتعرف الى أميالهم وأخلاقهم كما يتعرف الطبيب الى جسم الانسان جزءاً جزءاً . والذي يعرض عن هذا الدرس مكتفياً بما رزق من صنع اللسان وبلاغة البيان أو عرف به من نزاهة القصد واخلاص النية لم يسلم من الخيبة والفشل أحياناً بل لو طرح قلبه على المنبر لما أقنع السامعين اذا هم أبوا الاقتناع

على كل حال من أهم واجبات الخطيب النائب أن لا يقرب خلتين الاولى الغضب لأنه آفة العقل والرزانة والثانية استعمال الفاظ سافلة تدعو الى الأسف والندم

الخطابة العسكرية

تختلف هذه عن الاولى كل الاختلاف لان الحرب لا تدع مجالا واسعاً لتزويق الجمل ومهما يكن الخطيب جهير الصوت فهو لا يستطيع أن يسمع الالوف ولذلك جرت العادة أن تكتب الخطبة وتوزع على الجند . والغاية من الخطابة العسكرية هي إنهاض همم الجنود واذكاء نار الحماسة فيهم واثارة النخوة والحمية والاقدام وتهوين الموت وتجميل التضحية واعطاء الثقة بالنفس والامل بالنجاح

ومن أجمل الخطب العسكرية خطبة طارق بن زياد قبل فتح الاندلس وخطبة نابوليون في حملة ايطاليا وبين الخطبتين كثير من الشبه كأن روحاً واحدة أوحت الى البطل العربي والقائد الكورسيكي تلك الكلمات العبقرية الساحرة

قال طارق : « أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو من أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر

« وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لاوزر لكم الا سيوفكم ولا أقوات الا ماتستخلصون من أيدي عدوكم »

وقال نابوليون : « أيها الجنود لا قوت لكم ولا كساء . الحكومة مدينة لكم بالكثير ولاتستطيع أن تعطيكم شيئاً وان في صبركم وشجاعتكم لشرفاً لكم ولكن ليس من ورائهما ربح ولامجد . سأقودكم الى أخصب سهول العالم . ستجدون مدناً كبيرة وضياعاً غنية ، ستجدون الشرف والمال والمجد . اي جنود ايطاليا أتعوزكم الشجاعة ؟ »

ومثل هذا قول روش جاكلين في حرب الفانداي : «أيها الجنود إن أنا تقدمت فاتبعوني وان أحجمت فاقتلوني وان مت فاثأروا لي »

وفي كتب العرب كثير من أمثال هذه البلاغة سنعود اليه في مكان آخر

الخطابة الدينية

لم يعرف هذا النوع من الخطابة عند الافرنج الا بعد ظهور النصرانية وكان حامل لوائه آباء الكنيسة من البرنس وهو يمتاز بصراحة القول والتهديد والاستشهاد بآي الكتاب [illegible] وبالتحليل العقلي من البساطة في التعبير [illegible] على المعرفة الدينية المبنية على الوحي والعلوم البشرية [illegible] الخطيب على الاستشهاد والتفسير ودعم الحجة وكما كان الواعظ متمكنا في الفلسفة والادب والطبيعيات أمكنه أن ينال من قلوب السامعين وعقولهم بما يكتسب قوله من

الجاذبية والرواء وتلبس معانيــه الصارمة من حلل اللفظ الرشيق وتكسى من بهجة الشواهد المتنوعة والامثال التي توقظ الخاطر وتقصي الملل وتساعد على الاقناع

وسواء أكان الموضوع دينياً محضاً أو تأويلا وشرحاً للآيات المنزلة أو رداً على أقوال الملحدين ودفاعاً عن الدين فالغاية من الموعظة واحدة وهي تثبيت الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهي من حيث الفائدة الدنيوية جزيلة النفع بما تجلب من التعزية للحزين والشجاعة للجبان والقوة للضعيف والامل للبائس والصبر لمن خانه الصـبر على شرط أن يكون الواعظ ممن خبروا النفس البشرية وامتلكوا ناصية البلاغة وكان في كلامه مخلصاً تقيــاً وفي تبشيره صادقاً وفياً

أما عند العرب فالخطابة الدينية عزيزة المذهب أيضاً جليلة الغاية بعيدة المرمى وقد أوجبها الشارع وسنها للمسلمين في مساجدهم كل جمعة وعيد وفي الحج أي في عرفه وأوجب على الحضور التزام الادب مع الخطيب بل علمهم حسن الاصغاء وفي الحديث: «اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت» ولم يعين الشارع موضوعاً خاصاً للخطب الدينية في خطب الجوامع والمواسم بل جعلها مطلقة يتناول الخطيب الكلام من المناسبات الزمنية ويورد للحضور من هدي الشارع ما يهذب به أرواحهم ويهيب بهم الى واجباتهم ويغرس فيهم مكارم الاخلاق ويطبعهم بطابع الفضائل ويحذرهم البغي والظلم ويستل بلطيف أسلوبه سخائمهم وأحقادهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويزين

لهم العمل الصالح ويربأ بهم عن مهلكات الشهوات (عن القديم والجديد لكرد علي)

الخطابة القضائية

فيها من كل فن خبر لان المحامي يدعى الى الخوض في كل موضوع وعليه أن يلم بأطراف العلوم ويكون واسع الاضطلاع موفور الحفظ ولا سيما في هـذا العصر فان اتساع ميدان العمل أخرج المعيشة عن حالتها البسيطة وولد في المعاملات الاجتماعية وعلائق الناس بعضهم مع بعض حقوقاً جديدة كما قال هنري روبير وخلق مشاكل لم تكن موجودة أو معروفة وجعل موقف القضاء أشد حرجاً وأكثر غموضاً

لا يكفي المحامي أن يكون بارعاً في علم الحقوق بل هو في حاجة الى بصيرة نقادة وذهن قادر على هضم أنواع العلوم لان المسائل التي يوكل اليه البحث فيها هي علمية وطبية ومالية وزراعية وفنية وعليه أن لا يجهل شيئاً مما يمكن أن يعبد له طريق الفوز وهو في آن واحد عالم وطبيب وتاجر ومهندس ومؤلف وغير ذلك

ثم عليه بعد أن يجمع دماغه موسوعة علوم أن يعرف كيف يحرك العواطف ويثير شجون النفس لأن من الخصمين من لا يعرف القانون ولا يأبه به وانما هو يتحرك بما يثيره فيه الشعور والضمير

قال كركوى : « يا [illegible] القاضي الذي يجلس أول [illegible] ارتياحاً من جانب القاضي وتشوقاً لمعرفه [illegible] كانت الخطابة بالمطالع وبراعة الاستهلال أول [illegible] ويروى عن محام في احدى القضايا الكبرى انه بدأ مرافعته [illegible] : « موكلي

يطلب من عدلكم مليونين ومائة وخمسة وعشرين الفاً وثلاثمائة واثني عشر فرنكا وخمسة وعشرين سنتيما ولا أنس السنتيم لان حقي جلي واضح فأنا أطلب الكل أو لاشيء »

ومن بدائع الاستهلال ما فاه به الوزير كاليو في مرافعته عن نفسه بعد ما قتلت زوجته الثانية المسيو كالمث منشيء الفيغارو الذي كان ينشر في جريدته وثائق ضد كاليو فان زوجة كاليو الاولى المطلقة منه هي التي قدمت هذه الوثائق وكانت السبب البعيد في هذه الجريمة فجاءت الى المحكمة كشاهد ضد كاليو وزوجته القاتلة وبعد أن تكلمت كما شاءت وقف كاليو وقال ما معناه :

«أريد اليوم أن أجرب أصعب شيء في حياتي. ولكن ثقي يا سيدتي انه لا كلمة جارحة تخرج من فمي ولكن الذين سمعوك على هذا المنبر أصدقاء وأعداء قد أدركوا انه بين رجل لا ينكر أحد عليه العزم والمقدرة والارادة وبينك يا سيدتي أنت التي تحوي على بعض هذه الصفات الى حد المبالغة قد أدركوا انه من المحال أن تدوم الحال . . »

وأحسن وصف ينطبق على المحامي خصوصاً والخطيب عموماً ما كتبه شامبتا في وصف المحامي لاشو وقد آثرنا تعريبه هنا اتماماً للفائدة

كان لاشو من أشهر خطباء العصر التاسع عشر وقد دافع في أكثر قضايا الاجرام كقضية مدام لافارج في مقتل زوجها والطبيب لابومره المتهم بقتل اثنين تسمما وتروعان قاتل أسرة كاملة من أب وأم وستة أولاد ودافع أيضاً عن المرشال بازين أمام المجلس الحربي في تريانون وقد وصفه شامبتا وصفاً دقيقاً يحق أن يتصف به كل خطيب وكل محام كأن هذا الرجل الذي كان يقيم فرنسا ويقعدها ببلاغة أقواله أراد

أن يجسم في الكلام ويرسم بنفثة من يراعه ما كان يختلج بين جنبيه من تلك القوة الساحرة التي امتاز بها خلقه العجيب قال :

« ان ما يغريني في لاشو هو سهولته وارتجاله وقوته واستقلاله وما قبضت على القلم الا لأظهر اعجابي بهذه الصفات

« ان بلاغة الخطباء المرتجلين هي كالنار التي يشبههم بها «تايسيت» اذا خبا أوارها عفت آثارها . أجل ان الارتجال قوة لها على القلوب سلطان الساعة وقد بلغ فيه لاشو من السهولة والاقتدار مبلغاً لم يعرفه الا من كان في طبعه ومزاجه . يقوم وقد هزه كلام الخصم فيندفع اندفاع السيل فاذا بالعقل مأسور والجنان مسحور ثم يزول كل شيء . أين هو هذا الخطاب الجميل ؟ قيد البرق ان استطعت ، احبس الريح التي تهب أوقف المحامي لاشو . لكلامه وميض البرق الخاطف وهو كالريح فتارة نسيم وطوراً اعصار ولا سبيل الى حفظ هذه الاقوال المجنحة الا اذا جمعنا بين تصوير الصوت وتصوير الموسيقى

«جبين واسع وضاح، شفة عريضة عليها ابتسامة ناعمة ، عين كبيرة متحركة الاجفان هذه العين التي تجدها مسترخية عند الراحة تسطع بأنوار هائلة فجائية أو تبسم بأشعة لطيفة تنتشر على الترحيبة وتنير من كل جانب أعماق تلك الكرة . ورأس ملء حركاته عظمة وجلال . جسم معتدل وفيه خفة الفتوة . أضف الى هذا صوتاً جهيراً طروباً واسع المدى كأن فيه شيئاً من البرق ونبرة من القيثارة

«اذا غضب يتحول صوته الى زئير فيخرج من صدره طبقات كثيفة صافية رنانة ويرتفع الى أعلى درجة من النبرات ثم يهبط بلا تعب الى عذوبة الاستعطاف أو الشكوى

«واذا رضي أصبح الصوت نغمة أوحفيفاً كأن هناك آلة موسيقية تبعث ألحاناً شجية يحسدها عليهما أطرب المنشدين

«ان للاشو كل ما يلزم ليكون محامي العواطف وقد صار كذلك بفضل شعورمنبعه النفس لا الفن . لقد أتمت الطبيعةعلى لاشو نعمتها من ضمير يبعث الضياء الى فكر ينفث السحرالى لحظ باهر واحساس قاهر. وبساطة تقرب منال الالفاظ والمعاني وعاطفة تحمل معها السامع وأداء يأخذ بالابصار والقاء يستولي على مجامع القلوب . لله دره ما أعرفه بأسرار النفس البشرية وما فيها من عثرات وألم وشقاء وخيانة . لقد دخل في ذلك النفق المظلم نفق الحياة العصرية ونزل اليه درجة درجة فأبصر كل ما فيها من بؤس وفظائع ووقف على محركاتها وأدرك أسبابها ولمس بيده جراحاتها ورأى عن كثب ما في أعماقها من أصناف الذل وألوان العار ولما انتهى الى هدا الحد أخذته الشفقة على هؤلاء الساقطين شهداء الاقدار فصعد من الاعماق حاملا معه الرحمة ، ومنذ ذلك الحين تخذ موقفه الى جانبهم يدافع عنهم بقلمه ولسانه وينصرهم بحكمته وبيانه ويفتح لهم أبواب النجاة بقوة برهانه

* * *

« وسر المقدرة انه يتعمق في درس الدعوى ويلج الى قلب القضية وينظر بين الشبه ويحس بأعصابه فيغضب غضبه ويصرخ صراخه كأنه يطلب رحمة لنفسه ويترحم عن يأس المسكين بيأسه . يأخذ شبكة الاتهام ويلقيها على [illegible] باقتدار ثم يقطعها تقطيعاً كأنه من مصارعي رومة .

[illegible] ليرى كل شيء ويقبض عليه ويسبر غوره

ويدرك كنهه . انظر اليه جالساً مصغياً الى أقوال المدعي العام واستنتاجاته وتهمه واهاناته وهو مطمئن النفس ساكن الجأش لا يتحرك فيه غير يده المحمومة تقطع بالمدية قلماً وقع اليه . يستقبل بصدره ضربات الخصم ويعدها ليردها اليه بعد قليل بالربا الفاحش . ينظر الى خصمه وجهاً لوجه لان قوته ستظهر عن قريب . تلك القوة هي كلماته العظيمة التي يوحيها اليه احتدام الجدل والمناظرة فيخترع ويبدع وينفخ كالخالق روح الحياة في خطابه

« يتقدم الى المنبر حر الفكر لا يعيقه تذكار ولا تقيده لفظة هيأها أو جملة ركبها . لقد أعمل فكره وكفى وما أحقه بما قيل عن فوسينون: « ليست ذاكرته للالفاظ والجمل بل هي صفحة حساسة تلتقط كل التأثيرات وتقع على كل المعاني فهو يتنبه تنبهاً ولا يتذكر تذكاراً »

« واذا كان المتهم واحداً من أولئك العاثري الجد الذين يخشى منهم ويشفق عليهم فانه يعرف أن يمشي اليه بجرأة ويرفعه ويحمله بذاته فوق حافة الهاوية كأنه يريد أن يزجه فيها ثم يريك باشارة أعماقها المظلمة فتتراجع مذعوراً وإذ ذاك يرتد الخطيب رأسه ويرفع المتهم معه شارحاً حاله خالعاً عليه حلة جديدة باكياً مستعطفاً واذا بالرجل قد نجا لانه من فوق الهوة البعيدة الغور تنتصب الرحمة التي في صدر الخطيب التي يقدر الصوت العظيم أن يوحيها أبداً الى النفوس العظيمة

« اي وايم الحق عند ما نسمع لاشو يتكلم لا نملك أن نفترق مع أفلاطون : « ان الكلمة هي الله »

« أرأيتم صدق كلامي ؟ هذا الرجل تمثل المحاماة دقة بكل معانيها ولا سبيل للتغلب اليه فهو لا يحتاج تطويل خطابه ولا يحتاج الخصم النسيم

الثالث من الخطبة بل القبضة الاخيرة التي تخنق الخصم . والعادة أن لا يكرر الخطيب ختامه الواحد في كل خطبة أعدها أما لاشو فهو في كل قضية يستطيع أن يكرر هذه القبضة الهائلة

وعلى الجملة أقول ان من لوازم الخطيب أن يستقل بنفسه ويتبع فطرته ولا يعتد بما مشى عليه غيره أو ألفه سواه أو جرت العادة أن يقال ويسمع . قد يصل بالتقليد الى نيل الاستحسان ولكنه لا يصل الى السيطرة على الضمائر وقد صدق تايسيت حيث قال : « خير للخطيب أن يتزمل برداً خشناً من أن يصقل وجهه بطلاء الحظايا »

الخطابة العلمية

هي ان شئت أقل الخطب بلاغة لا تستنزل الدموع ولا تثير العواطف ولا توقد نار الغضب والحماسة ولا تحرك عوامل البغض أو الرحمة . كلام علمي صناعة وبحثاً وتركيب بسيط يقرب منال الحقائق العلمية من الاذهان . على ان البلاغة الحقة لا تعرف لها حداً فهي تتدفق من القلب والفكر أيا كان الموضوع . والخطيب البليغ يعرف أن يخلع حتى على الموضوع الجاف مسحة من الجمال والرونق والجاذبية فتزداد بساطته تأثيراً

وأول ما ظهرت الخطابة العلمية في فرنسا لعهد الكردينال رشليو مؤسس المجمع الشهير المؤلف من أربعين عضواً يسمونهم الخالدين وينتخبونهم من بين أرباب السيف والقلم ورجال الدنيا والدين

وهي تتناول المحاضرة والمدح والتأبين وما شاكل

المحاضرة — (ويسميها الانكليز قراءة أخذاً عن الروائي الشهير دكسون الذي كان يتلو مؤلفاته في حفل من الناس) هي ضرب من

الدرس يلقى على الجمهور كما يلقي المعلم درسه على تلامذته ومريديه وقد لا تخلو من مسحة خطابية حسب الموضوع والكاتب وغايتها الاقناع بمعالجة الموضوع الفلسفي أو التاريخي على نمط واضح الاسلوب سهل المأخذ وكثير من الذين لا قبل لهم بالخطابة يستطيعون أن يفلحوا في المحاضرة ولا سيما المرأة التي قلما يساعدها الصوت وتركيب بنيتها على الخطابة بدون تعب

ويدخل في المحاضرات السمر وأحاديث الأسر والاندية الادبية وقد كان للسمر مقام في العصور الغابرة وبلغ أوجه في القرن السابع عشر في فرنسا فكانت اوتل رمبوليه مجتمع السادة الادباء والنساء الشهيرات بالحسن والظرف والذكاء والصبابة . وقد كان لاجتماعاتهم وما يدور فيها من حلو الحديث أثر عميق في أخلاق ذلك الجيل وآدابه ثم أنشأت نينون ده لا نكلو نادياً للسمر في منزلها كان كالمعبد يحج اليه خيرة القوم وكان فن الخطابة محترماً يعتبرونه مدرسة الادب والحياء وحسن الذوق وطيب الشمائل ورقة الشعور

أما اليوم فقد عصفت حمى الحياة بكل هذا غير انك تجد حيناً بعد حين بعض الحفلات الخصوصية يقيمها نفر من العلماء أو المتأدبين في دورهم فيتجاذبون أطراف الحديث فيها يعرفون من عيد أو نحن كما كانت تفعل فلاسفة اليونان حينما كانوا يتحدثون تحت ظلال الاشجار في حدائق غناء تعبق أزهارها وتشدو أطيارها

وربما كان للعرب شيء مما ذكرنا غير ما يروى عنهم من اللهو والعبث والمجون وفيما حفظ عنهم من الاجوبة التي كان يحملهم عليها المقارعة في الحديث والجدل ما يجعلنا نعتقد ذلك

المدح والتأبين ـ التأبين هو مدح الميت خاصة يلقى يوم المأتم أو يتلى في حفلة التذكار التي تقام له ويراعى فيه عمر الميت وقدره وخدماته ثم يستطرق منه الى التعزية وذكر الحكم الخالدة التي تخفف أحياناً من لوعة المصاب ويختم باستمطار الرحمة والسلام على الفقيد وحث الناس على الاقتداء به . ومجال الكلام في هذا الباب واسع للخطيب القدير الذي يتلاعب بالالفاظ والمعاني دون أن يهوي في المبالغة أو الاطالة والتكرار

وأما خطب المدح وما يتصل بها من الشكر والتهنئة والتكريم فهي تتشابه موضوعاً وتختلف حسب الاقدار والاعمار وقيمة العمل أو الخدمة التي أداها المحتفى به لقومه وبلاده . وقد أفرط القوم فيها في كل مكان حتى صار من الصعب طرق هذا الباب على من أراد أن يكون مجدداً لا مقلداً . على ان التكريم الصحيح أي الذي يكون لاعمال جليلة القدر حقيقة النفع يعطي الخطيب من الموضوع نفسه مصدراً للوحي فيجمع الاخلاص في البيان الى فصاحة اللسان

القسم الثاني

آمالى طبية ووصايا صحية

نظرة تشريحية

كما يحتاج سائق السيارة الى معرفة تركيب أدواتها المختلفة حتى اذا طرأ طارىء لم يكن بالحسبان استطاع أن يتبين مواضع الخلل وأسبابه ليسهل عليه اصلاحه ، يحتاج الخطيب والمغني والممثل الى معرفة تركيب الآلة الصوتية ليتسنى لهم مداراتها ومعالجتها واجتناب كل ما من شأنه افساد عملها أو الاضرار به ولا سيما لان هذه الآلة جزء عامل في الهيكل الانساني ولا يمكن فصلها عنه بوجه من الوجوه

تتألف الآلة الصوتية من :

١ ــ الصندوق الذي يتكون فيه الصوت : وهو الحنجرة

٢ ــ منفاخ لدفع الهواء : هو الرئتان والقصبة

٣ ــ مجرى صوتي : هو الحلق والفم والانف

الحنجرة

هي شبه علبة أو صندوق مفرغة من الأعلى والأسفل تتصل فتحتها العليا بالحلقوم تحت قاعدة اللسان [illegible] غضاريف[1] [illegible] من [illegible] وراء بشكل شفتين [illegible] وهاتان الشفتان يقال لهما الاوتار الصوتية

وتسميتها بالاوتار الصوتية [illegible] التسمية تحمل الانسان على التصور أن في [illegible] حروف

---

(١) جمع غضروف وهو [illegible] عظم رخو

عليها لان الصوت يحدث من هذا النتوء الغشائي عندما يتمدد فيبدو كالشريط الابيض على الحنجرة الوردية

وطول هـذه الاوتار يتراوح بين ٢٠ و٢٥ ملتراً عند الرجل و١٦ ــ ٢٠ ملتراً عند المرأة

المنفاخ

ينبيون الحنجرة يقسمه على عمود وهذا العمود هو القصبة الهوائية مؤلفة من نحو عشرين حلقة غضروفية تتفرع في آخرها الى أنبوبتين أضيق قطراً هما الشعب وهذه الشعب تتفرع الى فروع كثيرة من أصغر الى أصغر حتى تبدو انها شبه شجرة غارقة في الرئتين

(٢) الرئتان . هما مركبتان من مادة رخوة اسفنجية مخروطية الشكل تمتد فيها تفرعات الشعب التي ذكرناها مع حويصلات الاعصاب والاوردة والشرايين

المجرى الصوتي

موضوع خلف الحنجرة والقصبة من قاعدة الرأس الى المريء (أي رأس المعدة) خلف فتحات الانف والفم والمنعة العليا [illegible]

[illegible] لانه لا يشبه الحالة بل القناة [illegible] في الحنجرة. ولا يجب الخلط بينهما [illegible] يمر منها الاكل والشراب [illegible]

الصوت

ما هو الصوت ؟ هو مجموع أصوات تخرج من الرئتين والفم وقوامه التنفس فاذا انقطع التنفس انقطع الصوت

هذا التنفس قسمان : الاول عند ما يدخل الهواء الى الرئتين ويقال له في الفرنسية « Inspiration » ومعنـاه استيعاب الهواء [1] والثاني عند اخراجه منها وهو ما يسمونه الزفير « Expiration »

فالصوت يتكون في الحنجرة أثناء الزفير لان الهواء الذي تستوعبه الرئتان لا يمكن أن يلبث فيها طويلا فتنقبضان وتطردانه من الشعب الى القصبة فاذا بقي الحلق مفتوحاً خرج الهواء بسهولة دون أن يحدث صوتاً أما اذا تدانت الاوتار القائمة على جوانب الحلق وقفل هذا أو ضاق حصل الصوت لان هذه الاوتار أو الاغشية البارزة تهتز ويهتز معها الهواء العابر عليها والخارج بقوة من الصدر

وقد تتشنج بعض عضلات التنفس لسبب ما فيحول الصوت الى تنهد أو ضحك أو شهيق أو سعال أو فواق أو غير ذلك

صفات الصوت : القوة والنبرة واللونة . فالقوة هي سعة اهتزازات الآلة الصوتية وهي تتعلق بالقوة التي يطرد بها الهواء من الرئتين كما ان قوة الصوت الخارج من أوتار العود مرجعها الى قوة ضرب الأنامل .

---

(١) يسمي الدكتور شرف في قاموسه القسم الاول من التنفس الشهيق وفضلنا الاستيعاب لانه أدل والشهيق هو رد النفس بصوت

والنبرة هي في درجة شد الاوتار وما ينجم عنهـا من تغير في مدى الاهتزاز . وهذا الشد يقوم به عضلات الحنجرة التي تشد أو ترخي والتي قد يصيبها شلل كما في بعض الامراض العصبية فيبح الصوت أو ينطفي . أما الرنة فهي التي تميز الاصوات بعضها عن بعض لانها تتعلق بتجويف الفم وتختلف في كل واحد باختلاف هذا التجويف . إذاً لا علاقة للرنة في قوة الصوت ونبرته وقد يصل الانسان بالتمرين الى تبديل رنة صوته كما يفعل المقلدون في محاكاة غيرهم من الناس أو محاكاة أصوات الحيوان

تأثير الاعضاء التناسلية في الصوت : أول أثر للاعضاء التناسلية في الصوت يظهر عند المراهقة لنمو الحنجرة نمواً هائلا فانه في بضعة شهور تكتسب الحنجرة من الكبر قدر ما اكتسبته من الولادة الى زمن المراهقة فيتبدل الصوت تبدلا سريعاً ولهذا ترى صوت الخصيان لا يفرق من صوت الاولاد لان الخصاء يمنع هذا النمو أن يحصل . ولما كان للاعضاء التناسلية هذا الاثر العظيم في آلة الصوت كان من المحقق أن الافراط في الشهوات يفضي الى فساد الصوت

التنفس

بما أن الصوت ناتج عن التنفس فهو متعلق به من حيث الحسن أو عدمه فان كان التنفس سيئاً أخل ذلك بالصوت والنطق . والتنفس الحسن هو ما جلب الهواء الى الرئتين بمقدار كاف وبدون تعب

للتنفس ثلاث طرق فهو علوي وجانبي وبطني . فالعلوي ويقال له الترقوي نسبة الى الترقوة يرفع الرئتين نحو العنق فنجران معهما الحجاب الحاجز والاحشاء وينجوف البطن . والجانبي يبعد الاضلاع فتتسع ويزيد قطر الرئة أفقياً . والبطني يخفض الحجاب الحاجز فيرفع جوانب البطن ويزيد قطر الرئة عمودياً

وقد سبق فقلنا ان شكل الرئة مخروطي وقواعد الهندسة تدلنا ان امتداد القطر العمودي للمخروط تزيد حجمه أكثر من الأفقي فالتنفس البطني هو إذاً أفضل أنواع التنفس لأنه يزيد حجم الصدر أكثر من الجانبي ولا يتعب معه [illegible]

وهبوط الحجاب [illegible] اذا كان في الحديث أو الغناء قبل تمام [illegible] ضرر كبير

وأكثر ما يكون [illegible] لتركيب بنيتها

ويجب أن يكون استنشاق الهواء عن طريق الانف دون الفم فيسخن [illegible] أن يكتسب حرارة الجسم ويتنقى في طريقه خلال

الشعر والاهداب المتموجة والسائل المخاطي مما ينظفه بعض التنظيف ويصفيه من ذرات الغبار والاوساخ العالقة به . والمتعود على الركض يشهد ان التنفس من الانف لا يتعب كالتنفس من الفم . فضلا عن ذلك فان التنفس الدائم من الفم يجلب أمراض الحلق واللوزتين وما شاكل

الرياضة التنفسية

قلنا ان حسن الصوت يتعلق بحسن التنفس فكلما كان استيعاب الهواء قوياً كان الصوت عظيما ثابتاً ولهذا كان من اللازم رياضة التنفس والتمرين عليه لحفظ الصوت وانمائه

هذا التمرين على أربعة وجوه :

التمرين الاول :

اضطجع على ظهرك وجسمك عار أو مغطى برداء بسيط حر من كل رباط يضايق حركاته

ثم تنفس من أنفك تنفساً بطيئاً عميقاً غير منقطع فتحس أضلاعك تتمدد وبطنك ينتفخ والصدر ينفتح الى الامام أما الترقوتان فتظلان ثابتين لا تتحركان من موضعهما . وبعد أن تستوعب الهواء توقف ثلاث ثوان ثم اطرد الهواء بسرعة فاتحاً فمك

هذا التمرين يوسع الصدر ومتى تعود عليه المرء أمكنه القيام به وهو جالس على كرسي ثم فيما بعد وهو قائم

التمرين الثاني :

يؤخذ به بعد إتقان الاول وهو على عكسه تماماً أي أن تستوعب الهواء بسرعة وتطرده ببطء ونظام فاتحاً فمك وهو أصعب مطلباً لان اخراج الهواء ببطء يقتضي عناية وجهداً ولكي يقف المتمرن على درجة تقدمه في هذه الرياضة يمكنه أن يضع ازاء فمه ريشة خفيفة معلقة بخيط

أو شمعة مضيئة فيعرف مقدرته على إيقاف زفيره من تحرك الريشة أو لهيب الشمعة

ولا يجوز التكلم حين الزفير أي عند ما يكون المزمار مفتوحاً كي لا يشترك في العمل غير أعضاء التنفس

التمرين الثالث :

هو في عمل الاثنين مشتركين وكذلك التمرين الرابع

الخلاصة ـ أربع طرق للرياضة التنفسية :

١	استيعاب	سريع	وزفير	بطيء
٢	«	بطيء	«	سريع
٣	«	سريع	«	«
٤	«	بطيء	«	بطيء

يجب أن تعلم أيها القارىء ان الغاية من هذه الرياضة ليست الوصول الى ادخال أعظم مقدار من الهواء الى الرئتين بل تربية جهاز التنفس باخضاعه لنظام محدود . ولا يجب عند الزفير اخراج كل الهواء الموجود في الرئتين بل يترك قسم منه . والقاعدة المتبعة عند المتكلمين في الجماهير هي أن يستوعبوا الهواء كلما سنحت الفرصة في عرض كلامهم وإن يكن الباقي منه في الرئتين كافياً للتنفس العادي . ذلك لأن اخراج الهواء كله يتعب الصوت كثيراً ولان ادخار كمية زائدة عن الحاجة قد يأتي بالنجدة المنتظرة كما في الجمل الطويلة مثلا

رياضة الصوت

تبين لك مما مر ان للرياضة التنفسية تأثيراً كبيراً في الصوت لحفظ جمال نغمته وقوة نبرته وسعة مرماه وقد كان قدماء اليونان يعنون بها ويجعلون تربية الصوت فناً قائماً بنفسه له أساتذة يتوفرون على درسه كما روى تيوفراست حتى ان ديموستين تلقى دروساً فيه وتخرج على الممثل ساتيروس

وبعد أن يملك الخطيب عنان تنفسه ينصرف الى الاهتمام بصوته وتصريفه في الوجوه التي تلائمه دون أن يفقد من تأثيره أو يقصر دون غايته. بل يستطيع حينئذ أن يصلح ما فيه من عيوب بالصبر والتربية فان لبعض الاصوات رنة غير مستحسنة ولا خفيفة على الأذن فبالعادة والمثابرة يستطيع أن يتغلب عليها ويبدل منها رنة ألطف وقعاً وألذ سمعاً

ولا تنحصر تربية الصوت في الرنة بل تتناول النبرة والقوة ولهذا يجدر بالخطيب أن يتخذ درجة موافقة في بداية خطابه فلا يرتفع كثيراً لئلا يضطر الى الهبوط عياء قبل الختام. وقد ذكرنا ذلك في فصل المنبر فليراجع

صحة الصوت

بعـد أن شرحنا لك ماهية الصوت وتركيب آلاته وأظهرنا ان تجاويف الفم والانف والحلق والحنجرة والصـدر تهتز معاً بالصوت الخارج من المزمار لم يبق صعوبة لندلك على الطرق التي يجب انتهاجها لحفظ هذا الصوت وتقويته فان كل ما من شأنه أن يهيج الأغشية ويذهب بمرونة غضاريف الحنجرة ويؤذي الأوتار الصوتية ويبدل من نعومة الغشاء سطحاً خشناً ذا نتوء وحبيبات يؤثر في الصوت نغمـة وصفاء وقوة وجلاء

فالتدخين والخمرة والاشربة الساخنة أو المثلجة والافراط في الاكل وخصوصاً اللحوم كل هذا يضر بالصوت ضرراً بليغاً لتهييجها الاغشية إما بالحرارة وإما بالطعم

والعناية الصحية تكون بغسل الفم والاسنان بعد الاكل وقبل التكلم. فان غدارة الاكل الباقية خلال الاسنان تجلب الريق بكثرة وتفسد الصوت

وأحسن ما يغسل به الفم هو الماء القراح البارد مدة عشر دقائق

ولا تقتصر المداواة على هذه الوسائل الموضعية بل تمتد الى الصحة العمومية من كساء وسكن وما شاكل فالسكن يكون في مكان مطلق الهواء نظيفه بعيد عن تقلبات الجو وكثرة تغير حرارته . ويشترط في اللباس أن يكون واسعاً لا يضايق الصدر ولا يضغط على العنق فيجلب بضغطه تضخم الغدد واللوزتين واحتقان الأغشية الحلقية . ويستحسن

لبس الصوف أو الحرير على مدار السنة لانهما يحفظان حرارة الجسم ويقيان من البرد المفاجىء في حالة العرق ، ما لم يكن الخطيب متعوداً على البرد فيلبس ما شاء . على كل حال تقتضي الحكمة أن لا يخرج الانسان من غرفة ساخنة الى أخرى باردة دون اتخاذ الحيطة لذلك

أما الاستحمام فهو ضروري على شرط أن يكون قصير المدة لأن رطوبة هواء الحمام تؤذي الصوت ومن كان مستعداً للزكام فالأولى استحمامه بالماء الفاتر صيفاً وشتاء وبعد الفاتر يصب بارداً على بدنه ثم ينشفه ويبقى تحت الغطاء عشر دقائق

وليست فائدة الماء النظافة فقط فان الخطيب في الغالب رجل عصبي ملتهب الشعور فالاستحمام يفيـده كالرياضة وكما تفيده بساطة المعيشة والاعتدال في كل شيء

قبل الخطاب وبعده

قبل الكلام لا يجب أن تكون المعدة فارغة ولا ملآنة ففي حالة الفراغ يتعب القلب والرئة فيخف الصوت وتنحل العزيمة وفي حالة الامتلاء يهبط الحجاب الحاجز كما بينا فتتعب المعدة أيضاً وتؤثر في سائر الجسم وخير الامور أن تكون المسافة بين الطعام والكلام ساعتين على الأقل

ومن الضروري مضغ الاكل مضغاً جيداً أما كمية الطعام فمن الصعب تحديدها لاختلاف المعد والبطون

وبعد الانتهاء من الكلام يعمد الخطيب الى الراحة والسكون والسكوت ويبدل من ثيابه المبللة بالعرق ثياباً جديدة

هذا ما رأيت بيانه عن الخطابة وطرقها وشروطها وأجناسها وما يتعلق بها من القواعد الصحية ورياضة الصدر وغير ذلك . وستجد في القسم الثالث بعض الأمثلة من الخطب المشهورة في العصور السالفة والعصر الحاضر

القسم الثالث

أمثلة

من خطب العرب والافرنج

خطب الافرنج

رأيي في الترجمة

لا بد لي في مطلع هـذا الباب من كلمة في الترجمة كما يجب أن تكون وكما أفهمها وكما تعودت أن أسير عليه فيما عانيته منها فانى أعتقد ان الغاية من الترجمة ليست في اظهار مناهج الانشاء بقدر ما هي في التعبير عن فكره المؤلف ومقصده وتمثيل معانيه وتمثيل تصوراته . ولو كان المقصود ترجمة الالفاظ والتراكيب فى عبرها لفسدت الترجمة على الاطلاق وربما كان هذا ما حمل اللورد بيرون أن يقول : ان من أكبر المصاعب على مؤلف أن يترجم الى لغة [illegible] فمن المستحيل أن [illegible] احتل في [illegible] التي يجاريه [illegible] أو اساس يفرع فيه معانيه لا يمكن أن تكون واحداً فيما كانا [illegible] [illegible]

[illegible]

بعض الاختلاف ويبقى المعنى والاسلوب على حالهما

ان في الفرنسية أو الانكليزية مثلا جملة تفيد معنى ولكن هذا المعنى لا يمثل في لغتنا الا بجملتين وبالعكس فقد تجد المعنى الذي يقتضي التعبير عنه جملتين في احدى اللغات الغربية يكفيه في العربية جملة أو كلمة فلا يجب أن يمنعنا عن استعمال هذه الجملة أو الكلمة بعدها عن الترجمة الحرفية ما دامت موصلة الى التأثير المطلوب

واني أورد هنا مثلا من هذه الترجمة التي لايسعنا أن نسميها حرفية وهي مع ذلك أمينة لا تذهب شيئاً من جمال الاصل ولا تضعف من الأثر الذي أراده المؤلف فضلا عن انها تتجرد عن العجمة ما أمكن وتظهر للقارىء في برد عربي فيكاد لا يشعر انها مترجمة :

يقول لامارتين في مطلع قصيدته « البحيرة » ما معناه بالحرف الواحد « أهكذا ونحن مدفوعون أبداً نحوشواطىء جديدة ومحمولون في الليل الأبدي بلا رجوع لا نستطيع أن نلتقي على شواطىء الاعمار مرساتنا يوماً ؟ » مهما نحاول تنميق هذه العبارة فنقدم ونؤخرفيها مع المحافظة على « حرفيتها » فهي لا تسلم من الركاكة والعجمة ولكننا اذا اكتفينا بالمعنى واجتهدنا أن نشعر شعور الناظم عند ما قاله ثم حاولنا نظمه كانه صادر عنا قلنا مثلا :

أهكذا أبداً تمضي أمانينا نطوي الحياة وليل الموت يطوينا
تجري بنا سفن الاعمار ماخرة بحر الوجود ولا ناتي مراسينا ؟

أنا أعلم ان جملة « تمضي أمانينا » ليست في الاصل ولكنها تتحصل من كلام الشاعر وهي لا تضعف قوله بل بالعكس تفسره تفسيراً موافقاً وفي النظم قد يضطر المترجم الى مثل هذه الزيادة . وكذلك الشطر

الثاني من البيت الاول « نطوي الحياة وليل الموت يطوينا » لا يمكن أن يكون ترجمة حرفية لقوله « محمولون في الليل الأبدي بلا رجوع » ولكنه يؤدي المعنى تمام التأدية ولو فرضنا ان لامارتين بعث من قبره وسألنا أن نترجم له ما ترجمناه عنه لما وجدنا ما يؤدي معنى هذا الشطر العربي أحسن من الرجوع الى عبارته الاصلية ولو ترجمنا له نطوي الحياة الى آخره ترجمة حرفية لجاءت ركيكة في لغته ولم يفهمها فالمعنى هنا واحد ولكن حلته تختلف في اللغتين . ومما يقرب من معنى البيت الثاني قول أبي العلاء يخاطب الدنيا :

يموج بحرك والاهواء غالبة لراكبيه فهل للسفن إرساء

فالمعاني متساوية عند الناس ولكن القالب الذي تفرغ فيه يختلف حسب اللغات كما يختلف اللباس حسب الاقاليم والسلائل . فعلى المترجم أن يحافظ على معاني المؤلف ومراميه وأسلوبه في الكتابة من خطابي أو شعري أو غير ذلك وأما حلة الانشا من ألفاظ وتركيب جمل فهو حر أن يختار منها ما يناسب المقام فكما أن الحسناء لا تفقد من حسنها إن بدلت من هذا الثوب الجميل ثوباً جميلاً آخر فالمعنى الحسن يبقى أثره كاملاً سليماً ما دام اللباس الذي يخلع عليه من الالفاظ والتراكيب جميلاً مطابقاً لقواعد الفصاحة أياً كان هذا اللباس

افرض ان رجلاً غريباً عن لغتك كلفك ان تحدث قومك في موضوع عيّن له فماذا تقول : هو يأتي اليك بآرائه وأفكاره وتصوراته ويفهمك الغاية التي يرمي اليها وغايتك انت اي أن تبرز هذه الافكار والآراء والتصورات في قالب عربي يقبله ذوقك أليست الترجمة ضرباً من هذا

هكذا أفهم الترجمة وعليه جريت في كتابة الرسائل العلمية والطبية وغيرها مما كنت أنشره في الصحف والمجلات فاذا وجد القارىء فيما يلي بعض اختلاف عن الأصل فلأني حاولت أن أجلو هذه المعاني الغربية في ثوب عربي دون أن أضعف من تأثيرها بل لأخفف ما أمكن الاساءة التي تلحق بالكاتب من جراء ترجمة مكتوباته معتقداً أن هذه الطريقة هي أفضل من الترجمة الحرفية التي يمجها الذوق العربي فضلا عن أنها تضيع جمال الاصل

ولا حاجة للقول إن ما ذكرت ينطبق على ترجمة الادب والشعر بوجه خاص وأما الاشياء العلمية والفلسفية فلا تدعو اليه في كل حين لان العالم لا يخلو في كتابته من الغموض أحياناً بالنظر الى المباحث العويصة التي يلم بها فيضطر المترجم أن ينقل عبارته بالحرف الواحد ليترك للقارىء الحرية في فهم ما أراد المؤلف ولا سيما لأن المترجم نفسه قد يغلق عليه ادراك بعض عبارات الكتاب فهو ينقلها بأمانة ودقة بالحرف الواحد يلقي عنه مسؤولية التبيين ويدع لكل قارىء سبيلا الى حل هذه المعميات كما يرتئي

— ٢ —

ثم هناك أمر آخر أريد أن أنبه اليه القارىء فان هذه الخطب التي ستمر أمام عينيه لا تنال من قلبه ما تستحق اذا لم يقف منها موقفاً خاصاً . فان ما ينظمه الشاعر أو يخطه الكاتب يكفي بذاته ليتصل بالقارىء وبخلاف ذلك الخطابة لان الخطب لم تعمل لتقرأ بل لتسمع وقد مرّ بك ان حسن الأداء من أهم شروطها . ومشاركة الجمهور للخطيب بالمصادقة والتشجيع يرفع الخطيب الى أن يصير صوته وقلبه صوت الجمهور المصغي اليه وقلبه الخافق معه ومن الصعب أن نجد مثل هذه المشاركة عند القارىء

فلو عربنا الخطبة أبدع تعريب ثم قرأناها فمن المستحيل أن نلمس فيها ذلك الوحي الغامر فنحن كمن يحاول الامساك بالحياة بعد إفلاتها . نبحث عن كائن حي ولا نجد الا جثة هامدة . وأي شيء ننتظر من أجمل الاجسام وأبدعها مثالا وأكملها تقويماً بعد ما يستولي عليها جمود الموت وماذا يبقى من الوجه الصبوح الجميل اذا انطفأ نوره وزالت بتسامته ؟

أجل ان فن الخطابة لجميل ولكنه أقرب الى الزوال من سواه . نظر الى الانصاب التي خلد فيها الانسان الحياة بألوانها وصورها فانها باقية على الزمان الفاني ولا تزال على قدمها توحي الاعجاب الى الناظرين وتأمل بأنغام الموسيقى الساحرة فقد تفجرت آياتها من قلب الموسيقي النائم اليوم بعيداً عنها ولا تزال ترافق السامع الى آخر الدهر . وما الذي لا يقال عن الشاعر أيضاً وكلامه يتردد على كل لسان وينشد في كل مكان ؛ أما الخطيب فهو يحمل معه ما عمل ويطويه في أكفانه

الصوت والاشارة والجاذبية وهالة النور التي تحيط بالمنبر . كل هذا يختفي ولا يبقى غير صورة الخطاب

عند ما يتكلم الخطيب يصبح ملكا للجمهور وهو لا يصل الى قلوبهم الا بعد صراع عنيف بين نفسه ونفسهم فالخطابة فن ولكنها حرب اذا خبت نارها عفت آثارها ولهذا لا نستطيع أن ندرك فعل أجمل خطاب بعد مرور السنين عليه

فاذا أحببت أيها القارىء أن تجد في هذه الخطب المترجمة بعضاً من جمالها القديم فعليك أن يكون لك فيها دور مستقل وهو أن تحاول الشعور أكثر من الفهم فتذكر الماضي وتضع نفسك وسط الحوادث التي ولدته وتتمثله تمثلا أكثر مما نقرأه قراءة فتصدق فيك كلمة لاكوردير: « ان نفس الفرد تستطيع لدى السمع أن تكون جمهوراً كبيراً »

هذا العمل من تمثل الماضي والاحوال التي قيلت فيها الخطب يطلب البساطة قبل المعرفة والشعور قبل الاضطلاع ويحتاج الى حس وارادة أكثر مما يحتاج الى [illegible]

سوكرات

من خطبة له عند ما حكم عليه بالموت

أي قضاتي : كونوا إذاً مثلي على رجاء من الموت ولا تفكروا الا بهذه الحقيقة وهي انه لا خوف على رجل البر حياً أو ميتاً وان الآلهة لن تتخلى عنه أبداً

لم يكن ما أصابني اتفاقاً واني لواثق ان موتي في هذه الساعة خير لي من تحمل هموم الحياة . أنا لا أحفظ حقداً على الذين حاكموني أو اتهموني ولكني ألومهم لانهم قصدوا في حكمهم واتهامهم الى الاساءة إليّ فساء فألهم وما كانوا صادقين

والآن في نفسي حاجة أسألكم قضاءها : أيها الاثينيون اذا اشتد أولادي ورأيتم فيهم جوراً عن الحق وزيغاً عن قصد السبيل وإيثاراً للمال على الفضيلة فعذبوهم مثلما عذبتكم واذا ذهب بهم الغرور فظنوا أنفسهم شيئاً وهم لا شيء فعنفوهم بمثل ما عنفتكم . ان فعلتم فقد أصبت من عدلكم أنا وولدي

والآن دنت ساعة الفراق فليسر كل في طريقه أنا نحو الموت وأنتم نحو الحياة . من هو السعيد منا بهذه القسمة ؟ ان الله وحده أعلم

ديموستين

من خطبته الفيليبية الاولى

يارجال أثينا

ربما كان فيكم من تهوله عظمة فيليب ويرى ما هو عليه من ضخامة الملك وقوة الجيش وكثرة البطش فيظنه لا يقهر فاذكروا أثينا وانه أتى عليها عهد كانت فيه ايضاً عزيزة الجانب وكان لها من سعة السلطان ورفعة الشأن مثل ما له الآن . وهذه الامم المنضمة اليوم تحت لواء فيليب كانت حرة تؤثر التحالف معنا عليه . فلو أن فيليب فكر يومئذ كما نفكر نحن اليوم وقال في نفسه لا طاقة لي على محاربة الاثينيين وقد ملأوا البسيطة عدة وعديداً لما أقدم على عمل ولكنه لم يدع لهذا الفكر ممراً بباله ولا معلقاً بخاطره بل عرف ان الفوز للجسور دون سواه

فاذا كنتم ايها الاثينيون تريدون ان تقوموا اليوم بما قصرتم عنه أمس اذا كنتم قد عزمتم العزم الاكيد ان تستقلوا غير متواكلين ولا متخاذلين فقد فزتم باذن الله وأصلحتم حالكم واسترجعتم مالكم لا تحسبوا فيليب إلهاً لا ينال ، إن هو الا هدف دائم للبغض والحسد والخوف لا يأمن حتى أقرب المخلصين له فان من حوله بشر مثلكم لهم أهواؤهم وشهواتهم وعواطفهم المتباينة ولكنهم في حاجة الى نصير. تلك

الأهواء والشهوات قد ضغط عليها الخمول كما ضغط عليكم وهذا ما أسألكم أن تنفضوه عنكم

***

الام يارجال أثينا تظلون « غرضاً يرمى وفيئاً ينهب ؟ » ما الذي تنتظرون ؟ الساعة الموافقة ؟ وحق جوبتر لا أعرف ساعة أنسب لتحريك الهمم في النفوس الحرة من ساعة الذل والهوان . أتريدون ان تطوى اعماركم وأنتم تتساءلون ماذا من جديد ؟ ترحاً لكم وهل من جديد مثل هذا المكدوني قاهر أثينا ومخضع الاغريق . تعللون النفس بالآمال ترقبون موت فيليب أو اعتلاله وتنسون ان ذلك لا يبدل من حالكم شيئاً لان ما يساوركم من الخمول والعجز والضعة لا ينفع لديكم الا أن يسلط فيلباً آخر عليكم

وله من خطبة أخرى

أيها الاثينيون

رب معترض فيكم يظن الخامي اذا سأل : ماذا نفعل اذاً ؟ اما أنا فاجيب لا تفعلوا شيئاً مما تفعلون الآن وافعلوا كل ما لم تفعلوه . على أني سأزيدكم بياناً على الذين سارعوا الى السؤال أن يسارعوا الى العمل فاذكروا أيها الاثينيون ان فيليب نكث عهده معكم وكان البادىء بالعدوان ثم اذكروا ان فيليب هو عدو اثينا الألد عدوها الذي يكره أرضها وسماءها بل يكره منكم حتى اولئك الذين يغبطون بأنهم نالوا حظوة عنده

ان أبغض ما يبغضه فيليب واخوف ما يتخوفه هو حريتنا هو نظامنا

الديموقراطي وفي سبيل القضاء على هذه الحرية وهذا النظام مافتىء ينصبُ الشراك ويدبر المكائد . هو يعرف حق المعرفة انه لو أُخضع بلاد الاغريق بأسرها وبسط عليها سلطانه من اقصاها الى اقصاها لما جعله ذلك منها في جناح امن ما دامت ديموقراطيتكم سالمة وهو يعرف ايضاً انه اذا خانته الاقدار يوماً وقلب الدهر له ظهر المجن فكل هـذه الشعوب التي اخضعها عنوة تبادر الى خلع نيره والانضواء تحت لوائكم

أفي العالم ظلم يجب دفعه ؟ هاكم أثينا ! أفي العالم أمة مقهورة تطلب نصيراً ! هاكم أثينا أفتعجبون بعد هذا اذا كان فيليب لا يطيق صبراً على هذه الحرية التي تقف منه موقف الرقيب على جرائمه المحاسب على آثامه . . .

شيشرون

كان كاتيلينا من اعضاء مجلس الشيوخ يتآمر على الجمهورية ليستولي على الحكم وقد ألف جيشاً صغيراً من غوغاء الناس ودربهم على اعمال الشر والاذى واتفق معهم على ان يضرب الضربة القاضية في اليوم التالي فتسرب الخبر الى شيشرون قبل انعقاد المجلس فلما اجتمع الشيوخ وكاتيلينا بينهم كان شيشرون اول المتكلمين

حتام يا كاتيلينا تطمع منا بالصبر فتزيد في غرورك وتمادى في بغيك وفجورك . طغيت فما عرفت لطغيانك حداً ولا حفظت لامتك عهداً ولا راعك الحرس القائم على الاسوار في الليل والنهار ولا أهاب بك جلال هذا المقام ومن فيه من شيوخ كرام . لقد برّح الخفاء عن حالك وظهر المستور من اعمالك فلا تظن بعد اليوم أحداً يجهل ما فعلت بالأمس وقبل الأمس . وبمن اجتمعت وعلام عولت

ياللدهر ويالللاخلاق . المجلس يدري والقنصل يرى وهذا الرجل لا يزال حياً . يأتي الينا ويشترك معنا ويجيل نظره فينا ويختار منا من يقع عليه حكم الموت . أي كاتيلينا كان عليك ان تساق الى الموت بأمر القنصل من زمن طويل وأن يرد الى نحرك السهم الذي تفوقه الينا

قتل سيبيون فيما مضى تبريوس كراكس لخيانته ولم يكن سيبيون قنصلا ونحن القناصل نحتمل كاتيلينا الساعي في خراب العالم بالحديد والنار ؛ سلام على رجال هذه الجمهورية القدماء لقد كانوا شجعاناً يذبون عن الوطن ويعاقبون خائنيه أما نحن فالخائن بيننا ولا نجد له قصاصاً ولا نستطيع منه خلاصاً هذا لعمركم الصغار بعينه

القديس باسيليوس

من خطبة له في الاغنياء

تقول هو مالي احرص عليه فما وجه الضرر لسواي ؟ ما لك وأين اخذته ؟ أجب من أين جئت به في هذه الدنيا . مثلك مثل من يأتي دار التمثيل قبل غيره فيريد أن يمنع الباقين من الدخول بحجة انه أول الداخلين . افلان الاغنياء استولوا قبل غيرهم على مال هو ملك الجميع يريدون ان يستأثروا به دون سواهم ؟ أجل يا سادة لو اعطى كل واحد منكم ما زاد عن حاجته لما كان على الارض غني ولا فقير . ألم تخرجوا عراة من بطون امهاتكم الا تعودون عراة الى بطن الارض فمن أين هـذا الغنى الذي تتمتعون به ؟ اكان اتفاقاً ؟ اعوذ بالله من الكفران بنعمه انه لم يكن اتفاقاً بل من الله . واذا كنتم تعرفون انه من الله فقولوا لي علام اعطاكم الله وحرم سواكم منه ؟ ما كان ربك ظالما لعبيده ليقسم هذه القسمة الضئزى . تعالى الله عن ذلك انه اعطاكم الغنى لتنفقوه في سبيل الخير وقال: «لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون» وهكذا أعد الثواب للغني والفقير الاول لحلمه وكرمه والثاني لصبره وألمه. وتظنون بعد هذا ان تحبسوا خيراتكم عن الناس دون الاضرار بهم

من هو البخيل ؟ هو الذي لا يكفيه سد حاجته . من هو اللص ؟ هو الذي يسلب الآخرين أفلا تعرفون أنفسكم بهذا التعريف ؟ تسمون قاطع الطريق من يجرد الناس من لباسهم فماذا تسمون من لا يجود باللباس على من لا لباس له . ان في خزائنكم ثياباً كثيرة هي ملك الفقراء

العراة . كل هذه النعم التي اتيح لكم أن تتمتعوا بطيبها أصبحت ذنوباً ترصد لكم عواقبها الوخيمة

ـ من خطبة أخرى

قولوا لي ما الفائدة من مقاعد العاج واسرة الذهب وموائد الفضة حتى تنفقوا في سبيلها مالا الفقراء أحق به؟يتوافدون الى ابوابكم باكين مسترحمين فتردونهم بقسوة ولا تهابون نقمة الجبار . لا رحمة عندكم فلا تنتظروا رحمة منه. تقفلون دون المسكين ابوابكم وهو يقفل دونكم ابواب الجنة . تمنعون الخبز عن الفقير فتمنع عنكم الحياة الابدية

ما تكون آخرة هذا الظلم وهذه اللصوصية ؟ وما تريدون من هذا الملك الواسع والمكاسب الضخمة في حين يكفي شبر من الارض ليضم اشلاءكم الحقيرة . علام هذا الطمع والجشع إلام تحتقرون شرائع الله والناس ؟

انكم كيفما التفتم تتمثل لكم صورة آثامكم فهنا يتيم يبكي وهناك أرملة تئن . فقراء اضطهدتموهم وخدم أسأتم اليهم وجيران اغضبتموهم كل هؤلاء قيام ضدكم يوم الدينونة فمن يكون معكم

ما معنى هذا الغنى الفاحش وهل في الذهب والالماس شيء غير الحجر والتراب وماذا استفاد الخازن لها في مقاومة المرض والموت

تدعون انكم تحافظون على هذا المال لاولادكم يالها دعوى كاذبة . أليس الله أباهم ألم يعطهم الحياة من قبلكم وبعد هذا كله من يكفل لكم ان أبناءكم تحسن استعماله . كم مرة كان المال مجلبة الفساد والاثم للشبيبة . تجمعونه بالتقتير ولا تعلمون أين المصير . أليست لكم نفس هي أعز عليكم من بنيكم فان خسرتموها فماذا تربحون وما ينفعكم بعدها ما تجمعون

يوحنا فم الذهب

هو من أشهر خطباء النصرانية وقد نشرنا خطابه الذي دافع به عن اتروب وهو آية في البلاغة

كان اتروب رجلا سافل الاصل والاخلاق بلغ باحتياله ومطامعه ومعونة الامبراطور أركاد أعلى مقامات الشرف والثروة وعين قنصلا فكان أول أعماله اضطهاد الاسقف يوحنا والحصول على سن شرعة يحظر فيها على الكنائس حماية اللاجئين اليها

ولكن الدهر بالناس قلب فهوى اتروب يوماً من ذروة مجده وتخلى عنه الامبراطور وأسلمه الى حقد الشعب الثائر وغضبه فلم ير مناصاً الا بالالتجاء الى كنيسة القسطنطينية التي اضطهدها وجردها من امتيازاتها التي كانت تخولها حق الحماية

وكانت الغوغاء تتعقبه محاولة الفتك به فنهض يوحنا وأخمد ببلاغته هياج الشعب وأخرس صوت الانتقام مدافعاً عن عدوه الساقط

ولم يكن أكثر روعة من مشهد ذلك الجم يحاول اقتحام المعبد للانتقام واتروب مختبىء خلف المذبح يتمرغ على قدمي الاسقف قال :

اذا صح قول الحكيم باطل الأباطيل كل شيء باطل فلا أجد حالا يصدق فيه هذا القول وينطبق عليه كحالنا اليوم . أين عظمة القنصل ومجده ؟ أين هي الجنود التي كانت تمشي في خدمة الظافر ؟ ماذا جرى بالمتاف والتصفيق والولائم والافراح ؟ الى أين انتهى ذلك الازدحام على الابواب والترامي على الاعتاب ؟ لقد تبدد كل هذا تبدد الغيوم . عصفت الريح فجردت الشجرة من أوراقها وقطعت الصلات التي تربطها بالارض وها هي الآن تحاول محو آثارها . أين أنتم أيها الاصدقاء

المنافقون والرفقاء الملقون ؟ وما حل بتلك المآدب الفخمة تتدفق فيها سيول الخمور ويحفها الاخلاص الكاذب ويشرف عليها الولاء الملبس بالرياء ؟ ذهبت تلك البحبوحة كأن لم تكن وزالت كالحلم وتناثرت كزهر الربيع . سراب غرار . بخار لامع يبدو حيناً ثم ينقطع . باطل الأباطيل كل شيء باطل

هذه الآية يجب أن تطبع بأحرف من نور على الابواب والجدران وكل مكان ، يجب أن تطبع في أعماق القلوب وتكون حديثنا الدائم لنتعلم منها الى أي حد يمكن الاتكال على ظواهر الثروة وصداقة البشر .

ألم أقل لك غير مرة ان الغنى ظل زائل فلم تصدق . كنت أقول فتغضب ،كنت أقول لك ان الذين يحرقون بخور الثناء بين يديك ليسوا بأصدقائك وإن تعنيق لا جدى لك من تمليقهم وان الجراح التي تؤتى عن يد الصديق لأفضل من قبلات الخائن فلو احتملت هذه الجراح لما كنت الآن تئن من جور الساعين الى هلاكك

أين هم ضيوفك الذين كانوا يمجدونك بالأمس ليمجدوك اليوم ؟ هيهات لقد نفروا منك واختفوا عنك مخافة أن يقال ان لهم صلة بك أما نحن الألى احتملوا غضبك وجورك فاننا نحميك بعد سقوطك وهذا العبد الذي حاربته يفتح صدره لك ويبسط جناحه عليك

لا أريد الشماتة والاشتفاء ومعاذ الله أن أحاول اغراق شقي غلبت عليه الثروة ولكني أريد ان أظهر الخطر لمن ينام آمنا غدرات الزمان فليعتبر كل مغرور تسكره خمرة الفوز بما أصاب هذا الرجل

لقد رأيتموه بالأمس عند ما توافدت رسل الامبراطور للقبض عليه

وقد علت صفرة الموت جبينه واصطكت أسنانه فرقاً ونفضت الرعدة في مفاصله ولا تزال نافضة حتى الساعة

أنا لا أسدد نحوه سهام اللوم ولا أزيد شقاءه بالاهانة فالشقاء لا يدعو الا الى الرحمة وهذا ما أطلبه منكم فلتكن رحمتنا على قدر شقائه ولتلن القلوب القاسية التي تلومنا لاننا لم نقفل في وجهه أبواب هذا الهيكل

أيها الاخوان علام تغضبون ؟ ألأننا حمينا في الكنيسة من حاربها ؟ أوليس الأصح أن نسر ونحمد الله لأنه حبانا النصر وأجبر هذا العدو ألا يجد عوناً الا في قوة كنيسته ورحمتها ؟ أقول قوتها لأنه لم يهو الى الحضيض الا لأنه ناوأها وأقول رحمتها لأنها تريد اليوم أن تحمي من اضطهدها وتفتح له كالأم صدرها . هل ثمة نصر مبين كهذا النصر ؟ أو يمكن أن تفحم أعداءها بأبلغ من هذا البرهان وأي برهان كالعفو عن عدوها المترامي على أقدامها ودرء غضب الناس عنه والوقوف لحمايته بين غضب الامير وانتقام الأمة ؟ ألا تجدون انه أجمل وسام يرصع به صدر هذا الهيكل ؟

رب معترض يقول كيف نسمي انتصاراً تدنيس هذا المقام بوجود الخائن الأثيم فيه . على رسلكم يا اخواني أنسيتم تلك الخاطئة التي ارتمت على قدمي السيد وأخذت تقبلهما . حذار أن لا يكون ايمانكم سوى حب انتقام واذكروا ماقال المسيح: «سامحهم لانهم لايعرفون مايعملون»

قد يعترض أيضاً انه هو الذي قفل هذا الملجأ في وجهه بالشرعة التي سنها . ألا فانظروا عبرة ذلك فانه اليوم أول من عصى هذه الشرعة فيستطيع أن يتبين فسادها وكاني به يقول لكم لا تقتفوا أثري ولا

ترسموا خطاي اذا أردتم أن لا تتعذبوا عذابي . ما أبلغ هذا المصاب وما أقوى النور المتفجر من هذا المقدس . ما أبهى العظمة التي تكتنفه منذ قبض على هذا الأسد . هكذا صورة الامير لا يعليها في عيوننا التاج المرصع وحلة الارجوان بل يعليها البربر المقيدون بالسلاسل عند قدميه . أيديهم وراء ظهورهم ورءوسهم منحنية الى الارض

لم تشهد البلاد في أعظم أعيادها حفلا كهذا . لقد أقفرت الدور والخدور والطرق وأقبلتم جميعاً رجالا ونساء لتشهدوا تقهقر الضعف البشري وزوال المجد الدنيوي وانصرام أسباب الفخر الكاذب . ما أعظمها عبرة للاغنياء . رجل كان بالأمس يهز العالم بحركة من حاجبيه يصبح اليوم يرجف فرقاً كأحقر الحيوان . بل هي عظة للفقير أيضاً يتعلم بها العزاء فلا يشكو ولا يتذمر بل يحمد الفقر الذي جعله في مأمن من هذه التقلبات والغير . فاليوم هو درس للجميع أغنياء وفقراء كباراً وصغاراً عبيداً وأحراراً . كل يجد لدائه دواء ولآلامه عزاء .

هل استطعت أن أحرك عواطفكم وأهدىء ثائركم وأجد سبيلا الى قلوبكم ؟ نعم أنجرأ على الافتخار بذلك فان نور الرحمة يتدفق من وجوهكم وهذه الدموع الجائلة في الآماق دليل عليها . إذن فلنجن ثمار هذا الكرم الذي أظهرتموه والرحمة التي أبديتموها بالارتماء على أعتاب الامير أو بالأحرى فلنجثو هنا أمام الله ليتنازل ويلين قلب الامير

مهما تكن جريمة الرجل فاليوم يوم الرحمة لا العدل والشفقة لا الانتقام واللين لا الشدة . فلننس الاساءة ولنسأل الله للآثم غفراناً وعمراً طويلا ليكون له متسع من الوقت للندم والتوبة والتكفير

بوسويه

من تأبين هنريت فرنس ملكة انجلترا

مولاي (١)

ان المستوي على العرش في العلاء الذي به تقوم الممالك والذي وحده له ملك السموات والارض وهو على كل شيء قدير ، هو وحده يضع الاحكام للملوك ويسن لهم الخطط ويلقي عليهم متى شاء دروساً عظيمة هائلة . وهو الذي يرفع العروش ويبيدها ويخلع السلطة على الا [illegible] عنهم ليدلهم على واجباتهم نحوه مظهراً لهم بهذا الاخذ والمنع [illegible] عظمتهم مستعارة وانهم لا يزالون في قبضته [illegible] ت امر [illegible] يعلم الملوك لا [illegible] ها بل بالمبادئ والامر

أيها المسيحيون الذين أقبلوا من كل [illegible] لذكرى ملكة عظيمة هي بنت ملوك [illegible] ووالدة ملوك [illegible] الخطاب [illegible] الا [illegible] لات الأم [illegible] لعالم [illegible]

[illegible] كل نهايات لاشياء [illegible] التي [illegible]

[illegible]

[illegible] الزمان [illegible]

[illegible]

أعجوبة . تلك هي الدروس التي يلقيها الله على الملوك ليظهر للعالم زوال مجده وبطلان عزه . واذا قصر اللسان عن ايفاء هذا الموضوع حقه من البيان فالاشياء ناطقة بنفسها وأبلغ ما جميعاً قلب هذه الملكة الذي سما الى أعلى ذروات المجد ثم هوى الى أسفل دركات الشقاء

لا كوردير

خطيب نوتردام كان يحرر مع لامنه في جريدة المستقبل فحوكم الاثنان بتهمة التشنيع بالحكومة والحض على العصيان وبرئا . قال في مطلع دفاعه عن نفسه يوم المحاكمة :

أيها السادة

اقف فيكم وبي ذكريات لا تحول ولا تزول فقد كان الكاهن فيما مضى يحمل الى الشعب شيئاً مما يبعث على الحب أما اليوم فاني أشعر أمام الاتهام ان اسمي ابكم وكهنوتي لا يجدي في الدفاع عني فتيلا . لقد جرد الناس الكاهن من هذا الحب القديم الذي كان له في نفوسهم وذلك عند ما تجرد هو نفسه من خلقه السامي فلم يعد رجل الله ولا رجل الحرية . لقبان لايفترقان في ذهن البشر ولا في مقادير العناية . عروتان أزليتان تربطان الهيكل بالعالم ولا يمكن الفصل بينهما دون أن يشهد الكاهن موت الاله الذي يعبده والحرية التي انكرها

الى أن قال في ختام المرافعة :

— لقد قمت بالواجب عليَّ

أما واجبكم أيها السادة فهو تبرئتي ولا أطلبها لنفسي فما كنت ممن يهاب السجن أكثر مما يهاب الله ولكني اطلبها لتكون خطوة أولى منكم نحو اتحاد الايمان والحرية

اطلب البراءة كي يتعلم اولئك المأجورون المستبدون ان العدل لم يمت في فرنسا ولا يمكن ان تضحوه لعقائد قديمة وسخائم عصر خلا . إذن ارجوكم ان تبرئوا يوحنا باتيت هنري لا كوردير لأنه لم يذنب

بل تصرف تصرف الوطني ودافع عن المه والحرية . وما عملته ياسادة تجدونني مستعداً لعمله كل حين

ومن خطبة له في وداعه نوتردام وهي آخر خطبة

أودعكم وفي الصدر عاطفتان متناقضتان : الاولى السرور انني اديت الواجب عليّ وخدمت الكثير منكم في عصر قلما تجدي فيه خدمة الواجب والثانية الاسف لدى التفكير ان عملا كهذا لا يتم دون أن يخلف العامل فيه أجل شيء من عمره وقواه

يقول دانت في مطلع قصيدته: « في منتصف طريق الحياة استيقظت فاذا بي وحدي وسط غابة كثيفة » ياسادة إني وصلت الى هذا الموقف من الحياة حيث يودع المرء آخر شعاع من الشباب وينحدر بسرعة نحو شواطىء العجز والنسيان . واني لراض بهذا الانحدار لأنه مكتوب لي غير اني أريد أن أقف قليلا وأتملى اللذة الباقية لي وهي أن ألقي نظرة على الماضي وأعيد معكم يا رفقاء الطريق تلك الذكريات التي حببت الي هذا المنبر وهذا الجمهور

هنا انفتحت نفسي لأنوار العزة الالهية ونزل الغفران على آثامي . على اعتاب هذا الهيكل رقيت درجات الكهنوت ومن على هـذا المنبر الذي رعيتموه بالاصغاء والتهليل تجلت لي وظيفتي هنا وجدت بعد منفاي الاختياري الثوب الذي اقصاني عنه حرماني باريس نحواً من ربع قرن . هنا في غد الثورة بين بقايا العرش ومشاهد الحرب نوافدتم لتسمعوا من فمي الكلام الصاعد من هـذه الانقاض فصفقتم له . هنا نشأت الشعائر التي عززت حياتي فوجدت وأنا في وحدتي بعيداً عن العظماء وعن الاحزاب نفوساً احبتني

يا جدران نوتردام ! أيها القبة المقدسة التي تردد فيها صدى صوتي الضعيف . أيها المحراب الذي باركني هيهات ان انفصل عنكم . احن اليكم وأردد مآثركم وأتذكر بركاتكم كذكرى اسرائيل لصهيون

وأنتم يا سادتي الألى غرست فيهم على اختلاف اعمارهم الحقائق المقدسة والتقاليد السامية اني سأبقى متحداً معكم في الآتي كما في الماضي واذا خانتني يوماً قواي اذا لم يعد يؤثر فيكم بقايا صوت كان عزيزاً عليكم فلن ترموا من أجله بالعقوق إذ لا شي بعد الذي كان يقدر ان يزيل هذا الأثر وهو انكم كنتم مجد حياتي واكليلي للأبدية

ميرابو

من خطبته سنة ١٧٨٩ بعد ما غادر لويس السادس عشر المجلس الوطني

أيها السادة

لا ريب ان فيما سمعتموه الآن منجاة للوطن لو كان في الامكان أن نثق بوعود الاستبداد . ما هذا الظلم الشائن ؟ يستبيحون حرم هذا الهيكل والسلاح في أيديهم ليأمروكم ان ترضوا وان تستعدوا ومن الآمر ؟ ذاك الذي يدعي الوصاية عليكم يسن لكم شرائع الاستبداد القاسية في حين عليه أن يستمد منكم التشريع . منكم أي منا نحن اللابسين حلة الكهنوت السامي الذي لا يمس . ٢٥ مليوناً شاخصة الينا بأبصارها وافكارها منتظرة ان نقدم لها سعادة اكيدة تقوم على اساس مكين ثابت ، ولكن مالي أرى حرية اجتماعكم مقيدة والقوة المسلحة تحيط بالمجلس ؟ أين هو العدو؟ هل كاتيلينا على الابواب ؟ وأطلب منكم اذاً أن تحافظوا على عهودكم ولا تفترقوا قبل أن تقيموا الدستور

وكان نائب الملك حاضراً فلما رأى النواب لم تتفرقوا قال : «سمعتم يا سادة ارادة الملك » فصاح به ميرابو :

نعم سمعنا ما لقنوه الملك أما أنت الذي لا يمكن ان يكون رسوله الى المجلس ولا ممثله بيننا انت الذي لا صوت له هنا ولا مقام ولا حق بالكلام لا يجوز لك ان تذكرنا خطابه . على انه منعاً للبس واجتناباً للتأخير أقول لك ان كنت مكلفاً باخراجنا من هنا فعليك باحضار الامر لاستعمال القوة . إذهب وقل لمولاك اننا هنا بقوة الشعب ولا سبيل الى اخراجنا الا بقوة الحراب

نابليون

من خطبة له بعد موقعة اوسترلتز

أيها الجند اني راض عنكم . لقد كنتم يوم اوسترلتز عند ظني فيكم فخلعتم على ألويتكم حللا من المجد لا تبلى . في أقل من اربع ساعات حطمتم جيشاً يربو على مائة ألف مقاتل بقيادة امبراطورين اربعون علماً ومائة وعشرون مدفعاً وعشرون قائداً وثلاثون ألفاً من الاسرى تلك كان نتيجة ذلك اليوم المشهود

لقد أصبح السلم قريباً ولكني لا أريده الا كما وعدتكم قبل عبوري الرين اي سلماً أكيداً يكون فيه الضمان لنا والمكافأة لحلفائنا

أيها الجنود عند ما وضع الشعب الفرنسي هذا التاج على رأسي كان جل اعتمادي عليكم لتحفظوا له مجده اللامع الذى بدونه لا قيمة له في نظري. أيها الجنود سأعيدكم الى فرنسا بعد أن نحقق كل ما يكفل الهناء للوطن فتكونوا موضع الاعجاب والاكرام وتستقبلكم الأمة بسرور وافتخار وحسبكم يومئذ ان يقول الواحد منكم لقد شهدت أوسترلتز ليسمع من حوله : انه لبطل

ومن خطبته في فونتيلو

وداعاً يا حرسي القديم . لقد مشيتم معي عشرين عاماً في سبيل المجد والشرف وما برحتم في السراء والضراء مثالاً للشجاعه والامانه . ومن كنتم حوله لا يؤوب بالفشل ولكن الحرب قد طالت وربما استعرت

حرب أهليــة لا تخرج فرنسا منها الا أسوأ حالاً ولذلك اضحي بنفسي في سبيل الوطن

سأرحل وحدي اما أنتم فثابروا على خدمة فرنسا . ان سعادتها كانت غاية مناي وستبقى اقصى مشتهاي . لا تندبوا ســوء طالعي وما رضيت بالحياة بعد هذه النكبة الا لأخدم مجدكم. اريد ان أكتب الأشياء العظيمة التي عملناها. وداعاً يا أولادى أود ان اضمكم جميعاً الى صدري فأكتفي بتقبيل لوائكم. أيها النسر العزيز دعني اقبلك ولتسر هذه القبلة في قلوب كل الشجعان

لامارتين

نذكر هنا ما رواه لامارتين عن نفسه يوم احتدم الجدل بينه وبين الشعب الثائر وقد وقف على المنبر بين الصخب والهياج وهو لا يدري ما يكون مصيره وكان غير واحد من الخطباء يزاحمه بالمنكب يميناً وشمالا ويحاول ان يزيحه من مكانه ولكنه تمكن بالساعد والكتف من اقصائهم عنه فاذا به وحده امام هذا الجمهور وقد خفت ضوضاؤه وسكنت جلبته ومال الى الاصغاء فقال :

أي أبناء أمتي لماذا دعوتموني ؟

أصوات : لنعرف بأي حق تحكمون الشعب وهل نحن أمام رجال الظلم والخيانة أم أمام وطنيين هم أهل لهذه الثورة

لامارتين : باي حق نحكمه ؟ بحق الدم المسفوك والنار التي تلتهم معاهدنا والشعب الذى يعوزه الرئيس والامة التي لا قائد لها ولا نظام وربما جاء الغد وليس لها قوت . بحق الاخلاص والشجاعة بحق أولئك الذين يسبقون الى التضحية جاعلين ضمائرهم هدفاً للشبهات ورءوسهم غرضاً للمشانق ودماءهم عرضة للانتقام . أتحسدوننا على هذا الحق ؛ انه لكم كما لنا ولا نجادلكم فيه . كلكم أهل للتطوع في هذا السبيل ولا ندعي من الحقوق الا ما يمنحه الضمير الذي يسيطر علينا والخطر الذي يحيق بكم. ان الشعب في حاجة الى رؤساء وقد دعانا فلبينا أفتريدون ان لا ينتهي عهد الدم والنار

اصوات : لا لا . بلى بلى . لا حق لكم باستلام الحكم . لستم من من الشعب . لم تخرجوا من وراء المتاريس

اصوات : لا لا. بل هم الذين احتجوا على الفساد ودافعوا عن الشعب فليخبرونا ماهو الحكم الذى يريدون ان يعطونه . لقد قلبنا الملكية فليقل لامارتين أيريد أن يعطينا الجمهورية أم لا

لامارتين : الجمهورية ! ومن تلفظ بهذا الاسم ؟

ـ : كلنا ، كلنا

لامارتين : الجمهورية وهل تعرفون ما تطلبون ؟ أتعرفون ما هو الحكم الجمهوري ؟

ـ : قل لنا ، قل لنا

لامارتين : الجهورية هي حكم العقل فهل نشعرون انكم أهل لتحكموا عقولكم ؟

ـ نعم نعم

لامارتين : الجمهورية هي حكم العدل فهل تشعرون انكم تعدلون ولو في الحكم على أنفسكم ؟

ـ نعم نعم

لامارتين : الجهورية هي حكم الفضيلة فهل تشعرون انكم فضلاء وفيكم من الرحمة والحنان ما يجعلكم اهلا لان تقبلوا التضحية وأن تنسوا الاساءة وأن لا تحسدوا من هو أسعد حالا منكم وان تعفوا عن اعدائكم وان تجردوا قلوبكم من هذه الاحكام القاسية النفي والشنق والقتل. سائلوا أنفسكم وارجعوا الى ضمائركم ثم انطقوا بالحكم لكم أو عليكم

ـ نعم نعم . نشعر أننا اهل هذه الفضائل

لامارتين : أتشعرون بذلك ؟ أتقسمون عليه ؟ أتشهدون عليكم الله؟

ـ نعم نعم .

لامارتين : اذن انتم قلتم . الجمهوربة ، اذا كنتم اهلا للمحافظة عليها كما كنتم اهلا للوصول اليها

فكتور هيكو

من خطاب له في مجلس النبلاء يؤيد طلب جيروم نابوليون الاذن بالعود من منفاه سنة ١٨٤٧

أيها السادة :

لا حاجة للقول انني لا أريد ان اثير احقاداً أو شجوناً ولكني اشعر لدى صعودي هذا المنبر انني أؤدي واجباً عليّ . ان الذي يدفع هذا العاجز الى نصرة جيروم نابوليون وهو في منفاه ليست فقط عقائد نفسي بل كل تذكارات حياتي فكأنما في هذا الواجب شيئاً من الوراثة ويخال لي ان ابي ذلك الجندي القديم للملكية هو الذي يأمرني بالوقوف والكلام

أيها السادة :

هذه المادة من القانون الفرنسي التي تنفي الى الأبد أسرة بوليون من الارض الفرنسية تبعث في نفسي شيئاً لا اعرف له نظيراً ولا أستطيع عنه تعبيراً . ولكي اسهل عليكم فهم فكري سأفترض فرضاً مستحيلا : لا ريب ان تاريخ الخمس عشرة الاولى من هذا القرن ذلك التاريخ الذي كتبتموه انتم ايها القواد والابطال المحترمون الذين انحني امامهم والذين يصغون اليّ في هذا النادي ، ذلك التاريخ لا يزال له دوي في سمع العالم قاطبة وربما لا تجدون في اقصى المعمور رجلا لم يسمع به فقد وقفوا في الصين بين معابد الآلهة على تمثال نابوليون . اجل اني افترض ـ وهذا هو الافتراض المستحيل ولكنكم تسمحون به ـ افترض

أن في زاوية من هذا الكون الواسع رجلا لم يعرف شيئاً من هـذ التاريخ ولم يسمع ابداً باسم الامبراطور . واقترض ان هذا الرجل جاء فرنسا وقرأهذه المادة التي تقول : « ان اسرة نابوليون منفية الى الأبد من أرض فرنسا » أفتدرون ما يجول في خاطر هذا الغريب ؟ انه لدى هذا العقاب الهائل ليتساءل من ترى يكون نابوليون هذا ؟ ويقول في نفسه انه ولا ريب كان مجرماً عظيما وانه من المؤكد ان عاراً لا يمحى لاحق باسمه ولعله أنكر آلهته وباع أمته وخان وطنه الى آخر ما هنالك ان هذا الغريب ليتساءل بشيء من الجزع ماهي الآ ثام الفظيعة التي استحق من اجلها نابوليون هـذا أن يعاقب مثل هذا العقاب في سلالته الى الأبد

أيها السادة هذه الآثام سأعددها لـكم : هي الدين مرفوع الرايات هي القانون المدني محكم الآيات ، هي فرنسا متسعة النطاق الى ابعد من حدودها الطبيعية ،هي مارنكو .يانا .واكرام .اوسترلتز هي اغلى وأبهى مهر من القوة والمجد يستطيع رجل عظيم أن يقدمه الى أمة عظيمة

أيها السادة : ان شقيق هذا الرجل العظيم يستعطفكم في هذه الساعة هو شيخ عاجز هو ملك قديم يسترحمكم اليوم. اعيدوا له ارض الوطن. ان جيروم نابوليون لم يكن له في الشطر الأول من حياته الا رغبة واحدة ان يموت في سبيل فرنسا ولم يكن له في الشطر الثاني من حياته الا فكرة واحدة . ان يموت في أرض فرنسا فلن تخيبوا له هذا الرجاء

غامبتا

من خطبة له في كرنوبل وقد تذكر مرور نابوليون بها عند افلاته من جزيرة البا

لا . لا . إن العطف على من يريد الانضواء تحت لواء الحزب الجمهوري ليخدمه باخلاص حق للحزب بل واجب عليه ولكنه لا يستطيع أن يبوىء مقاعد المجلس ألد اعدائه دون أن يستهدف للخطر ويهدم عظمة فرنسا ومستقبلها . لا . لا إن هذا العمل لينافي حق السياسة وحق الآداب التي لا يجوز فصلها عنها

يحضرني الآن تذكار اريد أن اشركـكم فيه لتروا هول الخطر الذي يكون في السياسة من وراء الاستسلام للمنافقين

نعم في هذا البلد أقام حيناً ذلك الرجل الذي اكسبنا المجد وجرّ علينا الويلات وطئت قدماه هذه الارض فرأى كم من السهل أن يضع يده على فرنسا مرة أخرى باستثاره البغض الذي أثاره عودة المهاجرين أوليست الحال كذلك اليوم ؟ إن فرنسا بنت الثورة ترتجف خوفاً من عودة الحكم القديم . ما الذي كان يردده على مسمعها هذا الممثل النابغة كان يقول للفلاحين والعمال ها قد عدت اليكم افلا تعرفونني أنا جندي الثورة جئت أدافع عن حقوقكم وأحمي ممتلكاتكم وأموالكم . أنا وليد الثورة أنا الثورة بالذات الثورة المتوجة نعم لقد اخطأت وجل من لا يخطأ

واليوم أحمل لكم كل أنواع الحرية حرية القول والفكر والعمل. حرية الكتابة والاجتماع . حرية الامة بدستور النواب المستقلين نعم كل هذه الحريات يجب أن تنالوها وستنالون

هذه الوعود قيلت كلها أين ؟ هنا في هذا البلد ولكنها كانت وعوداً كاذبة كانت سراباً خداعاً آخر خدعة قام بها هذا الكورسيكي التائه (هتاف طويل) هذه الوعود الجميلة خدعت فرنسا لأن طيبة القلب تصدق أبداً ما يقال لها فأخذت بلمعان هذا السراب وانكم تعرفون كيف كانت خاتمة هذه المأساة

لاشو

من دفاعه في قضية تروبمان القاتل

حضرات القضاه حضرات المحلفين :

لقد سألني تروبمان أن أدافع عنه فاذا بي أمام واجب لا بد من ادائه وربما أدهش موقفي هذا بعض الذين يجهلون وظيفة المحامي . إن الذين قالوا إن من الجرائم ما يفوق هولها كل وصف ومن المجرمين من بلغوا غاية القسوة والفظاعة فمن العبث أن نسعى الى تخفيض عقابهم ، أقول إن هؤلاء ليسوا على حق وهم في غضبهم المحمود يخلطون بين العدل وحب الانتقام . هؤلاء يتبعون عاطفة النفس الكريمة مشفقين على الضحايا ولكن اشفاقهم يجرهم من حيث لايدرون الى ارتكاب ذنب اجتماعي هو من أشد الذنوب خطراً لان فيه تضحية القانون . أما أنا فافهم واجبات الدفاع على خلاف ذلك لان المشترع أراد ان يكون الى جانب المتهم اياكان صوت شريف صادق يرتفع ليوقف اذا أمكن تأثيرات الجمهور تلك التأثيرات الصادرة عن طيبة نفس ولكنها قد تكون وخيمة المغبة لانها تستطيع أن تطمس الحقيقة

القانون لا يغضب يا سادة ولا يعرف هذا الفوران مهما يكن كريماً شريفاً . القانون يقول إنه لا سبيل الى الحقيقة الا اذا اشترك الاتهام والدفاع في البحث عنها . هو أدرك أن هناك ساعة يجب أن تتحول فيها الابصار عن مشهد الدماء وأن يلقى من بعد المجني عليه نظرة على الجاني

بل رأى أن من واجبات العدل والقضاء أن يسأل هذا الجاني وتدرس حالة عقله ونفسه وسلطان الطبيعة والعادة عليه حتى اذا تم له ذلك قال للمحامي قف على المنبر أنت وضميرك. هذه هي أول كلمة يخاطب بها الرئيس المحامي . لقد وكل المشترع الى شرفه حق الدفاع وحرية الدفاع ليوفق بين حقوق الاجتماع الشرعية وحقوق المحاماة المقدسة هنا ولا حاجة للقول اننا في مثولنا امامكم اليوم ايها السادة نبحث بنزاهة واخلاص مجتهدين في كشف النقاب عن الحقيقة كما نفهم

أي جريمة في العالم تضاهي هذه الجريمة وتفتقر مثلها الى الدفاع؟ لقد اهتزت البلاد من اقصاها الى أقصاها لهذه الجناية الفظيعة وتعالت الاصوات من كل الصدور طالبة الانتقام وانزال العقاب الصارم بالجاني. افتدركون أيها السادة أن كلام المحامي هو ليقيكم هذا الخطر لقد اقسمتم أن لا تظلموا الاجتماع ولا المتهم وأخذتم العهد على أنفسكم أن لا تخرجوا عن الحقيقة مجردين من عاطفة الهوى أو تأثيرات الجمهور أقسمتم أن تدعوا الحكم الى ضمائركم بعد أن تستوفى التأمل وبعد أن تستوفوا السماع فاستحلفكم اذاً أن تسكتوا هذه الضمائر وأن تنتظروا فلا تستشيروها حتى النهاية . . .

يا سادة سأبحث معكم عن الحقيقة كما افهمها ولا ادافع عنها كما يمثلها المتهم أو تظنون أني جئت هنا لاعيد الاقوال التي فاه بها ؟ أي نظرة تنظرون اذاً الى مهنتي ؟ انها والله لأذل المهن اذا لم يكن قوامها الا أن يعاد كل ما قاله المتهم في الدفاع عن نفسه سواء أكان فيه موفقاً أو غير موفق . فاطمئنوا فما أنا بملق اليكم غير ما يمليه عليّ الضمير والواجب . لقد عاشرت الرجل وخبرته وتحدثت اليه طويلا وجعلت نفسي حكماً عليه قبل أن أصبر محاميا له

الدفاع ملكي وأنا سيده كلا لست هنا صدى المتهم ولي من الشرف ما يكفي ليحمي اقوالي من الزيغ عن الحق والجور عن القصد فاسمعوا

من هو تروبمان ؟ هذا ما لم ابرح اسأل عنه دون أن أجد جواباً شافياً . ا إنسان أم وحش كاسر ؟ وعاقل أم مجنون . تلك هي العقدة التي لا تحل . إن ما يشعر به النائب العمومي من جراء هذه القضية اشعر به أنا أيضاً ومن هو الرجل الذي لا ينتفض جزعاً وغضباً لمرأى هذه الضحايا أو لتذكارها ؟ لقد قال لنا الرئيس بالامس إنه بينما الرعدة نافضة في مفاصل القوم كان الرجل وحده هادئاً لا أثر للحزن عليه . لماذا ؟ من أية طينة جبل هذا الانسان ؟ من يكون ؟ فلنبحث

* * *

لم يكن لتروبمان طفولة ولا شباب كسائر الناس وانكم لتذكرون حالة عقله وتقيده بفكرة لا تحوّل عنها وفي الحديث الذي اسره لاحد رفقائه معان كثيرة . لقد استولت عليه وهو في السابعة عشرة أفكار غريبة لا تتزعزع والسبب انه قرأ كتاباً أهاج أعصابه وأضاع صوابه. هذا الكتاب هو اليهودي التائه يقص عليه ثروة تبلغ المثتين مليوناً يشتهيها رودين فيقتل من أجلها أسرة عن آخرها . ستة من الابرياء يموتون موتاً فظيعاً . كان هذا الكتاب رفيقه الدائم وسميره ليل نهار فتركت قراءته أثراً غريباً في دماغه حتى اعتل بدنه ودبت اليه عقارب المرض وأصبحت أفكاره كلها منصرفة الى جهة واحدة محصورة في دائرة لا قبل له بالخروج منها وأصبحت فكرة القتل قتل ستة من الناس حتماً لا ينخلى عنه في قعوده وقيامه ويقظته ومنامه . سلوا أهل العلم يجيبوكم ان مثل هذا الرجل غير صحيح ولا سليم ، إفحصوه وادرسوه ،

حولوا نظركم قليلا عن الضحايا اليه وافهموا ما انطوى عليه . انظروا الى تركيب جسمه الغريب ، الى ذراعيه ويديه فقد قال لي بالأمس أحدهم تأمل ان في صورة هذا الرجل شيئاً من الضواري . أجل اذا كانت قضيتنا قضية وحش لا مسئولية عليه فقصاصه الربط والتكميم لا القتل (حركة وضجة في الجمهور) . ان ضميري يتكام وعنـد ما أتشرف بأداء الواجب فاني أشفق على الذين لا يفهمون ما يجب عليهم من الاحترام لوظيفتي

كليمانصو

من خطبة له وهو رئيس الوزراء رداً على جورس

أما وقد دقت الساعة لأشرح لكم أعمالي إفحاماً للمعارضين فاني أقول : ان أعداء الطبقة العاملة هم في نظري أولئك الذين يشجعونها على التطرف في الفكر ويبعثون فيها اعتقاد ان عدم احترام الحق والقانون مباح لها . هم أولئك الذين يصورون لها الحكومة في صورة العدو لانها تقوم بحفظ النظام خدمة للجميع

أقول ان أعداء الطبقة العاملة هم أولئك الذين يدفعونها الى التمادي في ضلالها فتتوهم انها معصومة عن الخطأ وان من حقها الشرعي أن تحول الى غيرها الضغط الذي تئن منه

أقول ان أعداء الطبقة العاملة هم أولئك الذين يقفون في طريق تربيتها باتباعهم هذه الوسائل الباطلة لأن التربية الحقة هي في العمل لا القول . اننا نعلم ان الطبقة العاملة هي أهل للحكم الديموقراطي كما ترغبون وكما أتمنى يوم تأتي أعمالها مطابقة للحق الذي تحاول الانتساب اليه . هذه هي التربية التي يجب أن تعطى لها ولن تكون بالكلام

هذه التربية جربت أن أقوم بها ولكني لم أجد جورس الى جانبي لا في « لانس » ولا في « دونين » . لست بحاقد عليك لذلك ولكن من يدري وانت ذو السلطة الواسعة والكلمة المسموعة فيهم . من يدري لو انك أضفت كلامك الى كلامي وصوتك الى صوتي ، من يدري كم من فائدة كنا جنيناها وفاجعة كنا أقصيناها

لا أرميك بالخطأ ولكن أقل ما يجب عليك بعد أن رأيتني في ميدان العمل والواجب أن تكون أكثر عطفاً على الوزير الذي تحاربه (حسن حسن)

لا ريب انك تشرف عليّ من أعالي قمة أفكارك الاجتماعية ولك مقدرة غريبه أن تخلق بعصاك السحرية جنات الفردوس . أما أنا فعامل بسيط يقدم حجره في بناء هذا الهيكل الذي لن نراه والفرق بيني وبينك ان فراديسك تتداعى وتنهار لأدنى نسمة من الحقيقة لكن هذا الهيكل الجمهوري سيناطح السماء يوماً (تصفيق في اليسار)

الحق أقول لك انه يجب التمييز في النظام الاجتماعي بين الصورة والاطار . من السهل اصلاح الاطار علماً ولكن الاصلاح العملي يقتضي النظر في الصورة واذا كان في الامكان أن يتلاءم الانسان مع النظام الذي تريد تغييره أصلحوا الانسان أولا وهو يعرف لنفسه أن يجد الاطار الموافق بدون أن يهتم بتعاليمكم أو نبوءاتكم التي لن تتحقق

أنا لا أدري الى أية نتيجة وصلتم ولكني أستطيع أن أقول انه اذا تم لكم هذا الاطار الجديد بقي عليكم أن تدخلوا فيه انساناً جديداً يقوى على الحياة في هذا الاجتماع الذي ولده دماغكم لان الانسان الحاضر هو غير ما تريدون ليعيش فيه

على كل حال هناك نقطة هامة يظهر فيها خطأ آرائكم وضلال مذهبكم وهو ان الرجل الذي تحتاجون اليه لتحقيق أحلامكم وتكوين هيئتكم الآتية غير موجود ولو فرضنا انه وجد يوماً فسيستعمل ذكاءه كما يريد هو بدون أن يهتم بالطريق التي تخطونها له

تدعون انكم تضعون المستقبل مباشرة أما نحن فنضع الانسان الذي

يتوقف عليه المستقبل فأعجوبتنا أعظم وأبدع . نحن لا نخلق انسانا خصوصياً بل نأخذ الرجل كما هو بما عليه من آثار الخشونة الاولى خشونة الكهوف وبما فيه من تمرد وأنانية وجودة واشفاق للآلام التي يتحملها أو يحملها اخوانه . نأخذه غير معصوم من الخطأ ونهديه وننميه ونضعفه من جانب الشر ونقويه من جانب الخير ونعطيه الحرية ونخرج به من ظلمات الحكم الغاشم الى أنوار العدل السامي (تصفيق) فيتقرب من الكمال يوماً بعد يوم ويصير أقدر على ادارة نفسه والتصرف في العالم الذي حوله (تصفيق)

ولكن حذار حذار فانكم اذا خدعتم الرأي العام بوعود لا يمكن تحقيقها فان الرأي العام ينقلب عليكم . اذا حببتم الشدة ومهدتم سبيلها فلاتنسوا انها ستمشي اليكم آجلا او عاجلا ، اذا ثابرتم على خطتكم العدائية من تصوير الحق في صورة الباطل والافتئات على الحكومة بينما هي لا تألو جهداً في ترقية الطبقة العاملة فان اليوم الذي تصلون به الى غايتكم لنذهب ضحية أعمالكم هو يومكم الاخير أيضاً (تصفيق)

جوريس

من خطبة جوريس في فضائح بناما سنة ١٨٩٣

أتظنون ان هناك رجلا لم يأخذه الدهش والذعر ولم يتأثر ضميره كل التأثر عند ما كانت البلاد بأسرها تسمع وترى تلك الفضائح ، عند ما فاجأ الامة ذلك النبأ الغريب وهو أن من مئات الملايين التي أنفقتها ذهب نحو الثلثين اسرافاً وتبذيراً عند ما اتيح لها أن تشهد الفساد جامعاً بين رجال السلطة وأصحاب الاعمال ورأت بعينيها تآخي المجلس والبنوك على حساب المساهمين

أتظنون انه لم يكن شيئاً مذكوراً يوم علمت البلاد أن وزراء ستساق الى المحاكم وان أشياء هائلة ستعلن وتقال ؟ يوم جاءت ساعة مثل فيها البعض أمام محكمة التحقيق عالي الرأس والبعض ملعثم اللسان ساعة تساوى فيها هذا المجلس وندوة العدل ، ساعة كان فيها عظماؤنا يمرون من ساحات المجلس المضيئة الى أروقة القضاء المظلمة ؟

أتظنون ان هذا لم ينتج شيئاً ؟ تذكروا كلام الشاعر القديم « التراب هو شقيق الاوحال » ورددوا في نفوسكم ان كل هذا الغبار المحرق غبار التعصب الفوضوي الذي أعمى في طريقه بعض الاشقياء هو شقيق أوحال الرأسمال والسياسة

وله في موقف آخر :

رأيت أحياناً في طريق الجبل بعض الفلاحات العجائز عائدات من الغابة حاملات فوق ظهورهن أحمالا من الاغصان الخضراء فكانت

الريح عند مرورها بتلك الاغصان المورقة توقظ من حول الفلاحة العجوز حفيف الاحراج الواسعة ولـكن العجوز لم تـكن تسمع هذا الحفيف بل كانت تمشي بخطاها المتثاقلة دون أن تعي نشيد الاحلام الذي كانت تسره في أذنيها قطعة الغاب المحمولة على ظهرها

أجل هكذا هو العامل المسكين يمشي محاطاً بنسمات الطبيعة دون أن يسمعها . كيف تريدون منه بعد جهده الطويل من طلوع الشمس الى غيابها عند ما يشعر ان عمله المنهك ليس عملا حراً وانه قد يجرد منه في الغد لغير ما سبب ، عند ما يجد نفسه مقيداً بأدواته التي تضنيه وربما فارقها في غده مكرهاً ؟ كيف تريدون منه وهو على هذا الوجه متعب مستعبد يساوره الوجل والاشفاق ألا يتاح له في غده ما يطعمه ويطعم ذويه ؟ كيف تريدون منه أن يرتفع فـكره بالحلم فوق ضجيج المصانع الذي يصم الآذان ليقول في نفسه ان هذا الضجيج الخارج من الادوات العاملة هو جزء من الموسيقى الـكونية ؟

هذا الشيء سيعرفه في الغد عند ما نعطيه الحرية

فيفياني

من خطبة له بعد الانتخابات وهو وزير الاشغال

في وزارة كليمانصو

ما الذي يخيفكم اذاً ؟ ان الذي ترتجفون فرقاً منـه ليس ما تحويه المطالب الاجتماعية بل ما تظهره او تتنبأ عنه. ان الذي تجزعون من اجله هو هذه المواقف الثابتة والارادة التي لا تتزعزع ، هو الشدة والاهواء الطافحة بها ، هو هذا الاشعاع الفكري الدائم ، هو هذه الحمى السارية في عروق الجميع

نعم ولـكن من المذنب ان كان ثمة ذنب ؟ من خلق هـذا العمل الثوروي ؟ اي يد ابدعت انسان اليوم بما فيـه من رغائب وجهاد وجسارة وعناد ؟

ان الثورة الفرنسية اطلقت في الانسان كل جرأة الضمـير وكل اطماع الفكر . لم يكف ذلك . جاءت ثورة ١٨٤٨ ومنحت التصويت العام واخذت بيد العامل الرازح تحت اثقال العمل وساوت في السيادة بين الرفيع والوضيع . لم يكف ذلك . جاءت الجمهورية الثالثة فجمعت حولها اولاد الفلاحين والعمال وزرعت في هذه الأدمغة المظلمة بذور التعليم الثوروية . لم يكف ذلك . جئنا كلنا نعمل باسم الدين ، باسم الآباء والأجداد ، باسمنا انفسنا فنزعنا الايمان من الضمائر ، ولما رأينا الشقي المنهك بعمل النهار يحني ركبتيه عند المساء رفعناه وقلنا له لا يوجـد من وراء هذه الغيوم الا اوهام واطفأنا في لحظة انواراً في السماء لن تضيء ابداً

لنكولن

من مناظرة بينه وبين القاضي دوجلاس

عن المساواة بين الابيض والأسود

لا غرض لي من التدخل في نظام الرق في الولايات التي يسري فيها هذا النظام لاني اعتقد انه لا حق لي بهذا التدخل، فضلا عن ذلك فاني لا اشعر من النفس ارتياحاً الى مثل هـذا العمل كما اني لا اقصد الى المساواة بين البيض والسود سياسـة او اجتماعاً اذ ثمة فوارق طبيعية تمنع فيما اظن وقوفهما جنباً الى جنب على بساط المساواة . وبما ان هذه الفوارق تنشيء تفاوتاً في الجنسين فأنا اوافق القاضي دوجلاس على ان تكون السيطرة للجنس الذي انتمي اليه

اني لم اصرح قط فيما مضى بخلاف ما ذكرت الآن على اني على الرغم مما سبق وذكرت من الأسباب والفوارق لا ازال مصراً على اعتقادي مجاهراً بانه لا مانع في الدنيا يمنع الأسـود من التمتع بحقوقه الطبيعية المخولة له في تصريح الاستقلال اي الحق بالحياة والحرية والسعي وراء السعادة. واني لأتمسك كل التمسك بانه والرجل الأبيض شرع امام هذا الحق

انا اوافق على ما قاله القاضي دوجلاس من ان الأسود يختلف عني من وجوه كثيرة كاللون او العقل والاخلاق واما في حقه ان يأ كل الخبز الذي كسبت يده دون ان يستأذن سواه فهو نظيري ونظير دوجلاس ونظير كل انسان على وجه الأرض

ارستيد بريان

من خطبة له في قانون الكنائس

ان الصلات التي كانت لنا مع رومة وحل المجلس عراها لا تستطيع حكومة منا ان تعيدها دون ان ترمى بالخيانة

اني احب بلادي و احب الرقي وما قبلت بوظيفتي هذه حباً بالمجد والشهرة واذا كان في تولي زمام الحكم فرح ولذة فهو فرح الواجب واللذة بما يستطاع عمله من الخير ، على ان هناك مسئولية عظيمة ترافق هذه اللذة وانا شاعر منذ اليوم وقبل اليوم بثقل وطأتها . (تصفيق في اليسار والوسط)

اني أسألكم معاشر الجمهوريين الذين بوأتهم ديموقراطية فرنسا هذه المقاعد اتريدون ان تكونوا على وفاق مع مبادئكم ؟ لقد قدمنا لكم بياناً طويلاً فيما نقصد عمله لمجد الديموقراطية وهنائها وهذا البيان يتطلب جهداً كبيراً افتظنون ان تحقيق هذه المطالب لا يحتاج الى شيء من الهدوء والطمأنينة والسلام في هذا البلد. اتحسبون ان الوصول الى الاصلاح ميسور اذا لم نفقأ عين الفتنة ونسحق افاعي البغضاء والتعصب ونقضي على النزاع الديني القضاء الأخير ؟ (تصفيق في الوسط واليسار)

اي سادتي لا اكتمكم فكري. لقد رسمت في الأحوال التي ذكرتها لكم خطة للزرع جعلتها بعيدة عن الاعوجاج ما استطعت فلا تلقوا فيها بذوراً فاسدة . واذا كان لا بد للشوك من أن ينمو فيها فلست أنا بحاصدها يوماً بل سواي (تصفيق)

موسوليني

من خطبة له في جماعة القمصان السود في فلورانسا سنة ٩٣٠

لقد طهرنا البـلاد فلم يبق فيها من الأحزاب من نهاب دعوته أو نخاف فتنته اما الذين خرجوا عنا ولا يزالون يناصبوننا العداء في خارج ايطاليا فما ابعـد المسافة بين ما يعملون وما يرموننا به من الاغلاط التي نعلم حق العلم انها حقائق راسخة اقيم عليها بناء الفاشيست المتين

وهناك أعداء آخرون يجهلون كل الجهل قوى الفاشيستية ويريدون مقاضاتنا . هم يعتقدون انا قليل عديدنا قصير باعنا وتعمى قلوبهم عن الحقيقة الناصعة ان الفاشيست هي ايطاليا جمعاء ايطاليا البالغ عددها ٤٣ مليوناً. لقد نسبوا اعمالنا الى حركة تجديد ولم يفهموا انها الثورة بعينها وادعوا انه حكم ظلم وارهاب وهو في الحقيقة مظهر من اجلى مظاهر السيادة القومية لأمة تريد ان تحكم نفسها بنفسها . وقـد ظن هؤلاء ايضاً اننا لا نستطيع الذهاب الى ابعد مما ذهبنا اليـه في سبيل التضحية (تصفيق طويل)ولست أري وايم الله ما ينال الشعب الايطالي في كبريائه وكرامته مثل هذا الظن والتوهم ان برنامجنا البحري الجديد حلم لا قبل لنا بتحقيقه ، (تصفيق شديد) ولهذا اعود فأؤكد ان هذا البرنامج سينفذ بنداً بنداً لان ارادة الفاشيست ليست فقط من حديد بل هي ايضاً ارادة عمل تهزأ بالمقاومة ولا تعبأ بالعقبات التي تعترض دونها . واني على يقـين من ان الشعب الايطالي لا يرضى البقاء سجيناً في بحر

كان فيما مضى بحر رومة ولمذافهو لا يرجع عن التضحية كلما دعت اليها الحال (هتاف وأصوات نعم نعم)

ولقد تساءل أولئك الأعداء ماتقصد بقولنا نفسية الشعب الايطالي وعليه اجيب ان احزاباً عديدة تعمل في خارج البلاد على اقتلاع جذور المذهب الفاشيستي وهـذا العمل وان يكن مصيره الى الفشل التام فهم يقصـدون به ان يزحزحوا إيطاليا عن موقفها السامي ويميلوا بها عن طريق المجد الذى تتسلق قممه . (أصوات أبداً أبداً) هؤلاء يدعون أنهم أحرار ديموقراطيون ولا يأنفون مع ذلك من اثارة أية حرب كانت على الشعب الايطالي بل لا يتأخرون عن أن يزجوا أنفسهم في غمراتها ويكونوا أول المشتركين فيها ولـكنهم سيجدوننا في انتظارهم حينذاك (تصفيق حاد) وإذا حدث شيء من هـذا فان رجال القمصان السود ستكون في مواقفها مستعدة لاحباط مساعيهم الدنيئة بوسائل لم تخطر على بالهم (هتاف عال) لان إيطاليا الفاشيستية هي اليوم كاملة العـدة والعدد والويل كل الويل لمن يحاول إذلالها (نعم نعم)

تذكروا أن رجال القمصان السود عقدوا في هذه المدينة مؤتمرهم الأول سنة ١٩١٩ فكانت الخطوة الأولى في محاربة للرجعيين وها نحن اليوم نفتخر بالشوط الواسع الذي قطعناه في طريق المجد منذ ذلك الحين ألا وان شجاعتنا لم تهن وسيرنا إلى الأمام في طريق التجـديد لم يقف ولا يجب أن يقف أبداً (هتاف من الجمهور أبداً أبداً)

خطب العرب

خطبة النبي (صلى الله عليه وسلم)

« لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مزجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه، من كلام النبي(ص) »

أيها الناس : ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم . ان المؤمن بين مخافتين : بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وآجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب

وله أيضاً :

أيها الناس : كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب،وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب، وكأن الذي نشيع من الأموات سفر عما قليل الينا راجعون . نبوئهم أحداثهم ، ونأ كل من تراثهم كأنا مخلدون بعدهم ، ونسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة . طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس . طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل الذل والمسكنة.طوبى لمن زكت وحسنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره. طوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة



مصطفى كامل
باشا

رينه ميمياي



فبكتور هوجو

نابليون بونابرت



سعد زغلول باشا



اريستيد بريان



بنيتو موسوليني

(٢٨٠٨)

علي بن أبي طالب

أغار سفيان بن عدي الازدي على الانبار وعليها ابن حسان فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها فخرج علي حتى جلس على باب السدة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال :

أما بعد فان الجهاد من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلة وشمله البلاء وألزمه الصغار وسيم الخسف ومنع النصف . ألا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهاراً سراً واعلاناً وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا . فتوا كلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهرياً حتى شنت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتل حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجالا صالحين وقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع أحجالها وقلبها ورعثها ثم انصرفوا وافرين ماكلم رجل منها كلماً . فلو ان امرءاً مسلماً مات من بعدها أسفاً ما كان عندي ملوماً بل كان عندي به جديراً . فياعجباً من جد هؤلاء القوم في باطلهم وفشلكم عن حقكم فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى وفيئاً ينهب يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا أمرتكم بالسير اليهم في الحر قلتم : حمارة القيظ ، أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر واذا أمرتكم بالسير في البرد قلتم : أمهلنا حتى ينسلخ عنا القر . كل هذا فراراً من الحر والقر . فاذا كنتم من الحر والقر تفرون

فأنتم والله من السيف أفر . يا أشباه الرجال ولا رجال ويا أحلام الاطفال وعقول ربات الحجال . وددت ان الله قد أخرجني من بين ظهرانيكم وقبضني الى رحمته من بينكم . والله لوددت اني لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندماً وورثت صدري غيظاً وجرعتموني الموت أنفاساً وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان . أحق قالت قريش : ان ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب ؟ لله أبوهم وهل منهم أحد أشد لها مراساً وأطول فيها تجربة مني . لقد مارستها وما بلغت العشرين وقد نيفت فيها على الستين ولكنه لا رأي لمن لا يطاع

معاوية بن أبي سفيان

لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نفر من قريش يتباشر ذلك بموتك فقال : ويحك ولم ؟ قال : لا ادري قال : فوالله ما لهم بعدي الا الذي يسوؤهم وأذن للناس فدخلوا فحمد الله وأثنى ثم قال :

أيها الناس إناقد أصبحنا في دهر عنود وزمن شديد يعد فيه المحسن مسيئاً ويزداد فيه الظالم عتواً . لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلناه ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فالناس على أربعة أصناف منهم من لا يمنعه من الفساد إلا مهانة نفسه وكلال حده ونضيض وفره . ومنهم المصلت بسيفه المجلب بخيله ورجله والمعلن بشره قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه أو مقنب يقوده أو منبر يقرعه ولبئس المتجران تراها لنفسك ثمناً ولمالك عند الله عوضاً . ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخره بعمل الدنيا فقد طامن من شخصه وقارب خطوه وشمر من ثوبه وزخرف نفسه للأمانة واتخذ ستر الله ذريعة للمعصية . ومنهم من قد أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه وانقطاع سببه لقصرت به الحال عن أمله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس الزهد وليس من ذلك في مراح ولا مغدى . وبقي رجال غض أبصارهم ذكر المرجع وأراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد نافر وخائف منقمع وساكت مكعوم وداع مخلص وموجع ثكلان قد أخملتهم التقية وشملتهم الذلة فهم بحر اجاج أفواههم ضامرة وقلوبهم قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظة وقراضة الجلمين واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من كان بعدكم فارفضوها ذميمة فانها رفضت من كان أشغف بها منكم

عتبة بن أبي سفيان

وهو يومئذ أمير مصر وقد بلغه عن أهلها أمور أن صعد المنبر وقال :

ياحاملي الأم أنوف ركبت بين أعين. إنما قلمت أظفاري عنكم ليلين مسي إياكم وسألتكم صلاحكم لكم إذ كان فسادكم راجعاً اليكم فأما إذا أبيتم إلا الطعن على الأمراء والعتب على السلفاء والخلفاء فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم فان حسمت مستثيري دائكم وإلا فالسيف من ورائكم فكم من عظة لنا قد صمت عنها آذانكم وزجرة منها قد مجتها قلوبكم ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذا جدتم علينا بالمعصية ولا مؤيساً لكم من المراجعة إلى الحسن إن صرتم إلى التي هي أبر وأتقى

زياد بن ابي سفيان

قدم زياد البصرة والياً لمعاوية وضم اليه خراسان وسجستان والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها قال :

أما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموفي بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كانكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول. أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ؟ ما هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدو غير قليل ألم تكن فيكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار ؟ قربتم القرابة وباعدتم الدين تعتذرون بغير العذر وتغضون عن المختلس كل امرىء منكم يذب عن سفيهه صيع من لا يخاف عاقبته ولا يرجو معاداً ما أنتم بالحلماء ولقد أتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونه حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوساً في مكانس الريب . حرام عليّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله . لين في غير ضعف وشدة في غير عنف وأني أقسم بالله لآخذ الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي والصحيح منكم في نفسه بالسقيم

حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول أنج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم قناتكم

إن كذبة المنبر بلقاء مشهورة فاذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي فاذا سمعتموها مني فاغتمزوها فيّ واعلموا ان عندي أمثالها. من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه فاياي ودلج الليل فأني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم

وإياي ودعوى الجاهلية فاني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه وقد أحدثتم إحداثاً لم يكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوماً غرقناه ومن أحرق قوماً أحرقناه ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ومن نبش قبراً دفناه حياً فيه فكفوا عني أيديكم والسنتكم اكفف عنكم يدي ولساني ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عاملكم إلا ضربت عنقه. وقد كانت بيني وبين أقوام إحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي فمن كان منكم محسناً فليزدد احساناً ومن كان منكم مسيئاً فلينزع من إساءته

إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم اكشف له قناعاً ولم أهتك له ستراً حتى يبدي لي صفحته فاذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدومنا يسر ومسرور بقدومنا سيبتئس

أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبنا عدلنا وفيئنا

بمناصحتكم لنا واعلموا أني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقاً بليل ولا حابساً عطاء ولا رزقاً عن إبانه ولا مجمراً لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذي اليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا له حاجتكم مع انه لو استجيب لكم فيه لكان شرا لكم . أسأل الله أن يعين كل على كل وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فانفذوه على اذلاله (١) وايم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاي

---

(١) أي على حاله التي هو فيها

عمر بن عبد العزيز

أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثاً ولم تتركوا سدى وان لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والارض . واعلموا ان الأمان غداً لمن خاف ربه وباع قليلا بكثير وفانياً بباق ألا ترون انكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك حتى تردوا الى خير الوارثين . ثم أنتم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً الى الله قد قضى نحبه وبلغ أجله ثم تغيبونه في صدع من الارض ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب غنياً عما ترك فقيراً الى ما قدم وايم الله اني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي فأستغفر الله لي ولكم وما تبلغنا حاجة يتسع لها ماعندنا الا سددناها ولا أحد منكم الا وددت أن يدي مع يده ويحمي الذين يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم وايم الله ان لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان مني ناطقاً ذلولا عالماً بأسبابه لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته

---

(١) هو أحد خلفاء بني أمية كان عفيفاً زاهدا وكان يتحرى سيرة الخلفاء الراشدين وهو أول من فرض لابناء السبيل وأبطل في الخطب سب علي . خلافته من ٧١٧ — ٧٢٠ م . ألقيت هذه الخطبة بخناصرة (بلد بالشام) ولم يخطب بعدها حتى مات

أبو حمزة الخارجي

دخل ابو حمزة مكة وهو أحد نساك الاباضية فصعد منبرها متوكئاً على قوس له عربية فحمد الله وأثنى ثم قال :

يا أهل الحجاز أتعيرونني بأصحابي وتزعمون انهم شباب وهل كان أصحاب رسول الله صلعم إلا شباباً . أما والله اني لعالم بتتابعكم [1] فيما يضركم في معادكم ولولا اشتغالي بغيري عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أرجلهم أنضاء عبادة [2] وأطلاع سهر نظر الله اليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً اليها واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه موصول كلالهم بكلالهم كلال الليل بكلال النهار قد أكلت الارض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم واستقلوا ذلك في جنب الله حتى إذا رأوا السهام قد فوقت والرماح قد أشرعت والسيوف قد انتضيت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ومضى الشباب منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه وتخضبت بالدماء محاسن وجهه فأسرعت اليه سباع الارض وانحطت اليه طير السماء فكم من عين في منقار طير طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله وكم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله

---

(١) التتابع الترامي على الشر والسقوط فيه

(٢) أى العبادة جعلتهم ضئال الاجسام والسهر أهزلهم وأضواهم

الاحنف بن قيس

يا معشر الازد وربيعة أنتم اخواننا في الدين وشركاؤنا في الصهر وأشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار ويدنا على العدو . والله لأزد البصرة أحب الينا من تميم الكوفة ولأزد الكوفة أحب الينا من تميم الشام فان استشرف شنآنكم وأبى حسد صدوركم ففي اموالنا وسعة أحلامنا لنا ولكم سعة

قطري بن الفجاءة

هو من مازن بن مالك كان من أبطال الخوارج وقادتهم وبلغائهم خرج في زمن عبد الله بن الزبير وكان مصعب والياً من قبل أخيه على العراقيين فبقي قطري يقاتل جند السلطان عشرين سنة . صعد منبر الازارقة فقال :

أما بعد فاني أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت بالعاجلة وحليت بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها ، غرارة هزارة خوانة غدارة وحائلة زائفة ونافذة بائدة اكالة غوالة بذالة نقالة لا تعدو اذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى « كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً » مع ان أمرءاً لم يكن معها في حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا إلا منحته من ضرائها ظهراً ولم تطل غيثة رخاء إلا أهطلت عليه مزنة بلاء وحري إذا أصبحت له منتصرة أن تمسك له خاذلة متنكرة ، وإن جانب منها أعذوذب واحلولى أمر عليه جانب وأوبى وان أتت امرأ من غضارتها ورفاهتها نعما أرهقته من نوائبها نقما ولم يمس امرؤ منها في جناح آمن إلا أصبح منها على قوادم خوف . غرور ما فيها فان ما عليها ، لا خير في شيء من زادها إلا التقوى ، من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه ويبكي عينيه

كم واثق بها قد أفجعته وذي طمأنينة اليها قد صرعته وذي اختيال

فيها قد خدعته وكم من ذي أبهة بها قد صيرته حقيراً وذي نخوة قد ردته ذليلا وكم من ذي تاج قـد كبته لليدين والفم سلطانها دول وغيشها رنق وعذبها أجاج وحلوها صبر وغـذاؤها سمام وأسبابها رمام وقطافها سلع حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ومنيعها بعرض اهتضام مليكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب مع أن وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدي الحكم العدل :

« ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى »

ألستم في مساكن من كان أطول منكم أعماراً وأوضح منكم آثاراً وأعد عديداً وأكثف جنوداً وأعند عنوداً؟ تعبدوا للدنيا أي تعبد وآثروها أي إيثار وظعنوا عنها بالكره والصغار فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية أو أغنت عنهم فيما قـد أهلكتهم بخطب بل قد أرهقتهم بالفوادح وعفرتهم بالمصائب وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وأخلد اليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر المسند هل زودتهم إلا الشقاء وأحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتهم الا الندامة أفهذه تؤثرون أم على هذه تحرصون أم اليها تطمئنون ؟ يقول الله: « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون »

فبئست الدار لمن أقام فيها فاعلموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بد فانما هي كما وصفها الله باللعب واللهو وقد قال الله تعالى: « أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون »

خطبة عبيد الله بن زياد

صعد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية وحيث بلغه ان سلمة بن ذؤيب قد جمع الجموع يريد خلعه ، فقال :

يا أهل البصرة انسبوني . فوالله ما مهاجر أبي إلا اليكم وما مولدي الا فيكم وما أنا الا رجل منكم ، والله لقد وليكم أبي وما مقاتلتكم الا اربعون الفاً فبلغ بها ثمانين الفاً وما ذريتكم الا ثمانون الفاً فبلغ بها عشرين ومائة الف وأنتم اوسع الناس بلاداً واكثره جنوداً وابعد مقاداً واغنى الناس عن الناس . انظروا رجلا تولونه امركم يكف سفهاءكم ويجبي لكم فيئكم ويقسمه فيما بينكم فانما انا رجل منكم

فلما أبوا غيره قال : اني اخاف أن يكون الذي يدعوكم الى تأميري حداثة عهدكم بأمري

خطبة يزيد بن الوليد

ابن عبد الملك

قال بعد ما قتل ابن عمه الوليد بن يزيد :

أيها الناس والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك وما بي إطراء نفس وإني لظلوم لها ولقد خسرت إن لم يرحمني ربي ولكني خرجت غضباً لله ودينه وداعياً إلى الله وسنة نبيه لما هدمت معالم الهدى وأطفىء نور التقوى وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة والراكب لكل بدعة مع انه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ولا يصدق بالثواب والعقاب وانه لابن عمي في النسب وكفئي في الحسب فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره وسألته أن لا يكلني إلى نفسي ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل ولايتي حتى أراح الله منه العباد وطهر منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي

أيها الناس إن لكم عليَّ أن لا أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة ولا أكري نهراً ولا أكنز مالاً ولا أعطيه زوجاً ولا ولداً ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم ، فان فضل فضل نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج اليه منه وأن لا أجمركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن اهليكم ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم وأقطع نسلهم ولكن عندي اعطياتكم في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر

حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كادناهم فاذا أنا وفيت لـكم فعليكم بالسمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكاتفة وإن أنا لم أوف لـكم فلـكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبوني فان أنا تبت قبـلتم مني وإن عرفتم أحداً يقوم مقامي ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من بايعه ودخل في طاعته

أيها الناس لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق أقول قولي هـذا وأستغفر الله لي ولـكم

الحجاج بن يوسف

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها في اثني عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال على بالناس فحسبوه وأصحابه خوارج فهموا به حتى اذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

أما والله اني لأحتمل الشر بحمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله واني لأرى رءوساً قد أينعت وحان قطافها واني لصاحبها واني لأنظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى قد شمرت عن ساقها فشمر ثم قال :

هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

اني والله يا أهل العراق والشقاق والنفاق ومساوىء الاخلاق ما أغمز تغماز التين ولا يقعقع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وجريت من الغاية . ان أمير المؤمنين نثر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلبها عموداً فوجهني اليكم فانكم طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسننتم سنن الغي أما والله لألحونكم لحو العصا ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل : « قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

اني والله لا أعد إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت ولا أخلق الا فريت فاياي وهذه الجماعات وقال وقيل وما تقول وفيه أنتم وذاك . أما والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده من وجدت بعد ثلاث من بعث المهلب سفكت دمه وأنهبت ماله

خطبة الحجاج بن يوسف

خطب أهل العراق بعد دير الجماجم قال :

يا أهل العراق ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والاطراف والاعضاء والشغاف ثم أفضى الى الامخاخ والاصماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرخ فحشاكم نفاقاً وشقاقاً وأشعركم خلافاً أخذتموه دليلا تتبعونه وقائداً تطيعونه ومؤامراً تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة أو يحجركم اسلام أو ينفعكم بيان . ألستم أصحابي بالاهواز حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر وظننتم ان الله يخذل دينه وخلافته وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذاً وتنهزمون سراعاً ؟ ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية ، بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم إذ وليتم كالابل الشوارد الى أوطانها النوازع الى أعطانها لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوي الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح وقصتكم الرماح . ثم يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم بها كانت المعارك الملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

يا أهل العراق الكفرات بعد الفجرات والغدرات بعد الخترات والنزوة بعد النزوات . ان بعثتكم الى ثغوركم غللتم وخنتم وان أمنتم أرجفتم وإن خفتم نافقتم لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة . هل

استخفكم ناكث أو استغوا كم غاو أو استنصركم ظالم أو استعضدكم خالع الا تبعتموه وأويتموه ونصرتموه ورحبتموه

يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر زافر إلا كنتم اتباعه وانصاره

يا أهل العراق ألم تنهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع

ثم التفت الى اهل الشام وقال :

يا اهل الشام انما انا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنها المدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب . يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم العدة والحذاء

خطبة الحجاج لما مات عبد الملك

أيها الناس ان الله تبارك وتعالى نعى نبيكم صلى الله عليه وسلم الى نفسه فقال : « انك ميت وانهم ميتون » وقال: «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم» . فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات الخلفاء الراشدون المهندون المهديون منهم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان الشهيد المظلوم ثم تبعهم معاوية ثم وليكم البازل الذكر الذي جربته الامور واحكمته التجارب مع الفقه وقراءة القرآن والمروءة الظاهرة واللين لأهل الحق والوطء لأهل الزيغ فكان رابعاً من الولاة المهديين الراشدين فاختار الله له ما عنده وألحقه بهم وعهد الى شبهه في العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته فاسمعوا له واطيعوه ايها الناس واياكم والزيغ فان الزيغ لا يحيق الا بأهله ورأيتم سيرتي فيكم وعرفت خلافكم وطيبكم على معرفتي بكم ولو علمت ان احداً اقوى عليكم مني او اعرف بكم ما وليتكم ناياي واياكم من تكلم قتلناه ومن سكت مات بدائه غماً

مصعب بن الزبير

قدم العراق فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم « طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين » وأشار بيده نحو الشام « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » وأشار بيده نحو الحجاز « ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » وأشار بيده نحو العراق

تأبين عائشة لابي بكر

نضر الله وجهك وشكر لك صالح سعيك فلقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزاً باقبالك عليها وان كان لأجل الارزاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك واكبر المصائب فقدك . وان كتاب الله ليعـد بجميل العزاء حسن العوض منك فانتجز من الله موعده فيك بالصبر عنك وأستخلصه بالاستغفار لك

تأبين فرغانة بنت أوس

للأحنف بن قيس

إنا لله وإنا اليه راجعون . رحمك الله أبا بحر من مجن في جنن ومدرج في كفن فوالذي ابتلاني بفقدك وبلغنا يوم موتك لقد عشت حميداً ومت فقيداً . ولقد كنت عظيم الحلم فاضل السلم رفيع العماد واري الزناد منيع الحريم سليم الاديم وان كنت في المحافل لشريفاً وعلى الارامل لعطوفاً ومن الناس لقريباً وفيهم لغريباً وإن كنت لمسدداً والى الخلفاء لموفداً وان كانوا لقولك لمستمعين ولرأيك لمتبعين

تأبين الشيخ اسكندر العازار

لأديب بك اسحق

ما طلعت على أديبنا شمس الخميس ولا عرف في صباحه وجه أنيس استحكمت منه علة الصدر فما دفع الأطباء عنه مقدوراً وما محا الاحباء ما كان مسطوراً وما راقب الموت فيه أهلاً ولا عشيراً فتلاشى نفساً في نفس وقبضت روحه عند الغلس فمات وعيناه البرقيتان منفتحتان ترسلان نوراً كأنهما محدقتان إلى فضاء الأبدية

قضى في سفح لبنان حيث التمس العافية من الهواء والماء ومن أين للداء العياء دواء . فاتصل نعيه ببيروت الآسفة فلا تسل القلوب عما تمزق ولا الصدور عما توقد ولا العيون عما جرى. انك تكاد لا تجد إلا رأساً قلقاً وصبراً مفترفاً ودمعاً مستبقاً وقلباً محترقاً فيالله ما هذه البلية

كان رايتنا في علم اللسان وآيتنا في صناعة البيان وغايتنا في حب الانسان . كان والله فتى ولا كالفتيان جريئاً في الحق ما أخذته فيه لومة وما رهب فيه وعيداً بل ما كان له شعاراً في هذه الحال أو مثلها من الأحوال إلا قول من قال :

وإذا لم يكن من الموت بدّ　　فمن العجز أن تموت جبانا

فمات شهيداً حميداً فقيداً وحق لاسمه أن يخلد إلى الذرية

كان زهرة الأدب في الشام وريحانة العرب في مصر فلا عجب إذا الفيت بنسيانه أحشاء الشام شحاحاً أو لفقدانه امتلأت نواحي أرض مصر نواحاً . أي والانسانية كان للانسانية نصيراً ولأعدائها نذيراً وبالأنسانية بشيراً فلتبكه الأنسانية

ويا إخوان أديب المنتشرين في الأرض مات أديب وأدرج في كفنه وأصابت الديدان مقيلا في بدنه وأخرسه الموت في ترابه وحيل بيننا وبين خطابه فابكوا ما وجدتم في العيون دموعاً ولا تسألوا قبلة الوداع فقد قبلته عنكم جميعاً وقد

ودعتــه وبودي لو يودعني طيب الحياة واني لا أودعه

دفناه وتركناه ولو أقمنا ما نفعناه وهو من قبل قـد نزعت اليكم روحه شوقاً فأوصاني بالقاء التحية

وانت يا شقيق الروح يا من أوحشت الدار ومن فيها وآنست القبور وساكنيها يامؤبن الأمراء وراثي العلماء وباكي الادباء والكبراء والفقراء يا أيها الراقد بلا حراك ولا يجدر بتأبينك سواك يبكيك القلم يا أميره والحق يا أسيره يبكيك الأهل والأحباء فقدكنت ودوداً حبيباً ويبكيك الشعراء والكتاب والخطباء فقدكنت شاعراً وكاتباً وخطيباً تبكيك المجالس يا خير جليس وتبكيك محاضر الأنس يا خير أنيس تبكيك صحف بعبراتها وترثيك صحف بعباراتها ولا تسل عمن استرهن الامور باوقاتها فترجمة حالك ستفضح ماكان مستوراً تبكيك بكاء «اندروماك» أمك زهرة الآداب يا غصنا نضيراً وتسقيك الذكرى في كل عشية

واما الكئيب الكاسف البال رفيق صباك وأعمالك واخوك في جهادك فأجثو بالذلة والاكتئاب عند ذلك التراب وأستمطر دمع العين لهفاً واستوقد نار الصدر أسفاً وابكيك وارثيك ما بقي لي من الحياة بقية

واقسم بوحشتك آنسها الله وبغربتك رحمها الله اني مقيم على ولائك محب لأحبائك عدو لأعدائك لا عزاء لقلبي الاسوان الا التأسي بأن تجمعني وإياك ظلمة الأبدية

فحسبي شجواً ان أري الداربلقعاً خلاء وأشلاء الحبيب ترابا

مصطفى باشا كامل

من خطبة القاها في الاسكندرية سنة ١٨٩٧

سادتي وابناء وطني الاعزاء

اني بفؤاد ملؤه الفرح والسرور اقف الليلة امامكم متكلما عن شؤون الوطن المحبوب ومصالحه . واني لأقابل انعطافكم نحو اضعف خدمة البلاد بمزيد الحمد والشكران . وأستميحكم العفو اذا قصرت في أداء هذا الواجب . فاني انما أسر بهذا الانعطاف وبهذه المظاهرات . لا لأنها موجهة لشخصي الضعيف بل لانها اكبر دليل علني على حياة الشعب المصري . وأقوى حجة تكذب دعوى القائلين بأن مصر وطن لا وجود للوطنية فيه . وان ابناء وادي النيل يقدمون بأنفسهم الى ألد اعدائهم وطنهم واقدس ميراث لآبائهم وأجدادهم

أجل . ايها السادة . انكم باجتماعكم اليوم هذا الاجتماع الوطني ترفعون كثيراً من مقام الوطنية المصرية وتخففون من آلام مصر العزيزة التي قاست وتقاسي أشد العذاب على مشهد منكم يا أعز بنيها ويا نخبة أنجابها . فكل اجتماع وطني تذكر فيه مصر ويطالب بحقوقها ويعلن ابناؤها اخلاصهم لها هو في الحقيقة مرهم لجراحها ودواء لدائها فاذكروها ما استطعتم . فان في ذكراها ذكرى آلامها وذكرى الآلام تجر حتما الى ذكر عوامل الشفاء . اذكروها كما يذكر الولد الحنون أمه الشفيقة وهي على سرير المرض والعناء . اذكروها بآلامها وان كان غيركم يذكر بلاده بمجدها ورفعة شأنها . اذكروها فانكم ما دمتم

مقدرين لمصائبها عارفين بحقيقة آلامها دام الامل وطيداً في سلامتها ودام الرجاء . اذكروها فمن المستحيل أن يرى العاقل النار في داره والداء في شخص امه ويهمل النار ويهمل الداء . ومن المستحيل كذلك ان يكون الوطن في خطر ونحن نيام . وأن يعمل الاجنبي لامتلاك بلادنا وسلب حياتنا بل لاستعبادنا واسترقاقنا ونحن جامدون لا عمل ولا حراك

ألقوا ايها السادة بأنظاركم قليلا الى الامم الحرة تجدوا كل فرد فيها يدافع عن وطنه ويذود عن حوض بلاده أكثر من دفاعه عن أبيه وأمه بل هو يرضاهما ضحية للوطن ويرضى نفسه قبلهما قرباناً يقدمها لاعلاء شأن بلاده . ويعد الموت لاجل الوطن حياة دونها الحياة البشرية ووجوداً دونه كل وجود . فلم لا يكون المصري على هذا الطراز ووطنه أجمل الاوطان وأحقها بمثل هذه المحبة الشريفة الطاهرة

اسألوا التاريخ أيها السادة ما واجب أمة دخل الانجليز ديارها خدعة وعملوا لامتلاكها وسلبها كل سلطة وكل قوة . يجبكم التاريخ ان واجب أمة هذا شأنها ان تعمل بكل ما في استطاعتها ضد مغتصبها وأن تبذل في سبيل خلاص وطنها كل ما تمتلك من مال ورجال

أجل . كل احتلال اجنبي هو عار على الوطن وبنيه . والعار واجب أن يزول ولست أقصد بهذا الكلام ان اسألكم باسم الوطن اعلان ثورة دموية ضد محتل البلاد . كلا ثم كلا . ان اقل الناس ادراكا لمصلحة مصر يعلم علم اليقين انها منافية لكل ثورة وكل هيجان . وانما أسألكم أن تعملوا بكل الوسائل السلمية على استرداد الحقوق المسلوبة منكم وأن تعملوا لأن تحكم البلاد بأبناء البلاد . نعم اني أعلم أن

الاحتلال قوي السلطة عظيم الرهبة شديد العقاب . وان العمل ضده موجب للعذاب مسبب للفقر والفاقة . ولكن في الرضى بالاحتلال الخيانة والعار . وفي العمل ضد الاحتلال الشرف والفخار

فيا ذوي النفوس الأبية ويا ذوي الضمائر الحية. اطلبوا الشرف ولو مع الفقر . اخدموا الوطن ولو أسقطت على رءوسكم الصواعق . كونوا مع مصر ان سعيدة فسعداء وان تعيسة فتعساء . قولوا لعدوها في وجهه : أنت عدو لنا . ولصديقها : أنت صديق لنا . لا تحبوا من يرميها بنبال الموت بل امنعوه عنها ان قدرتم . ثم ردوها في صدر راميها ان استطعتم . وان لم تستطيعوا فكونوا معها لا مع المعتدين

وان لمصر غير المحتلين أعداء آخرين هم آلات الاحتلال . آلات الفساد . فان ذكرتم الاعداء فاذكروا الخونة فهم ألد الاعداء . وأي الاعداء هم . اولئك الذين أنكروا الوطن والوطنية . وائتمنوا على مصالح الامة فعرضوا بها للدمار . أولئك الذين أبرتهم مصر فقابلوا برها بالسوء وصاروا اليوم في ايد المحتلين ضد الوطن العزيز . آلات الدمار . آلات الخراب . أولئك الذين كلما صعدوا درجاً من درجات المناصب نزلت نفوسهم دركا وفقدوا نصيباً من الشرف وسمو الاحساس . اولئك الذين يبيعون الوطن على مشهد من الامم ويسيرون بين الناس حاملين لواء الخيانة والعار . اولئك الذين اذا مد اليهم الوطن يد الاسغاثة مدوا اليهم سيوفاً ليقطعوا بها يده الشريفة

هؤلاء هم الخونة وهم أشد الاعداء ضرراً . ويعلم الله ان الدم الذي يجري في عروقهم هو دم فاسد ليس بالدم المصري الصادق . وانهم مهما ذاقوا من لذة الحياة الظاهرية فسينالهم العقاب أقسى العقاب ولو من

أنفسهم متى حاسبوا ضمائرهم . نعم سيعاقب الخائنون على خيانتهم . فكم رأينا في التاريخ رجالا خانوا أوطانهم وساعدوا الاعداء على امتلاك بلادهم . فعوقبوا على خيانتهم لا من أبناء وطنهم فقط بل من نفس الاعداء الذين خدموهم وساعدوهم . هذه سنة الله في خلقه . يقتل القاتل عقاباً على عمله . فكيف بمن يعتدي على أمة بأسرها بالخيانة ويعتدي عليها بالسلاح الذي سلمته إياه ليدافع به عنها

نعم سيعاقب الخائنون وسيحمل أبناؤهم من بعدهم علم الخيانة على رءوسهم وسيبقون في التاريخ مثلا كبيراً للابناء والأعقاب

وإن ذكرتم الاعداء فاذكروا المنافقين . فهم خونة تفننوا في أساليب الخيانة يظهرون أمامكم بمظهر المخلصين وهم يدبرون مع الاعداء المكائد والدسائس . فهم ذوو وجهين وذوو لسانين فحاذروهم واعلنوا أمرهم ليخيب مسعاهم وتحبط أعمالهم

. . . أيها السادة . أعداء الوطن عديدون. ومصائب الوطن عديدة وبديهي ان ازدياد الاعداء يزيد من واجبات الوطنيين المخلصين لبلادهم فلا تظهر الوطنية الحقة إلا في أوقات الخطر ولا تعرف الهمم العالية إلا عند المصائب . وغني عن البيان أن الأمة بأسرها كارهة للاحتلال. راغبة في الجلاء والحرية وقد أظهرت هذه الرغبة في ظروف عديدة وجاهرت بها حيناً بعد حين . إلا أنها كسائر الأمم في حاجة لان يرشدها أبناؤها المتعلمون ورجالها الخبيرون . ويسرني كما يسر كل مصري صادق ان الناشئة المصرية عارفة بواجباتها نحو الوطن العزيز . فهم أبناء الوطن وهم رجال المستقبل وبهم تحيا البلاد وبهم تقوم

ولكن هناك فئة من المصريين لا أنكر اخلاص رجالها للوطن العزيز

ولكن أنكر عليهم اليأس الذي يتظاهرون به في كل وقت وفي كل مكان فهم ما عملوا ولا يعملون للبلاد عملا نافعاً ولكنهم جعلوا اليأس علة عدم العمل وعلة الكسل. فان سألتهم : لم لاتقومون بعمل عمومي نافع للبلاد أجابوك : نحن يائسون من مستقبل الوطن معتقدون بظلمة الايام الآتية

فبالله كيف يستطيع طبيب أن يحكم على عليل بعدم الشفاء قبل أن يفحص داءه ويعطيه الدواء . على اننا نرى الكثير من الاطباء لا ييأس أبداً من شفاء المريض حتى في آخر لحظة من حياته . فكيف ييأس رجال من بني مصر من مستقبل البلاد . وهم وإن كانوا قد خبروا داء مصر فيعلم الله ويعلم الناس أنهم الى اليوم ما قدموا لها الدواء . كيف نيأس من المستقبل والمستقبل بيد الله وحده . وكثيراً ما تأتي الحوادث بخلاف المنتظر وبغير حساب . ألم يكن الكثير من المصريين ومن غير المصريين في يأس من مستقبل الدولة العلية ويعتقدون أنها على مقربة من الموت . فها هي اليوم قد ساعدتها الحوادث التي ساقها الاعداء مؤملين البطش بها فظهرت بمظهر القوة والحياة . وأصبحتم جميعاً فرحين بسلامتها معتقدين حسن مستقبلها

كيف نيأس من المستقبل وقد أرانا التاريخ أمماً حكمها الاجانب قروناً طويلة ثم قامت بعد الذل والاسترقاق مطالبة بحقوقها وأخرجت الاعداء من ديارها واستردت حقوقها وحريتها

هي النفوس الصغيرة التي يخلق عندها الأمل بكلمة أو بتلغراف . ثم يستولي عليها اليأس بكلمة أو بتلغراف . أما النفوس العالية الكبيرة فيدوم فيها الامل ما دام الدم في العروق وما دامت الحياة

وأي حياة ترضاها النفوس الشريفة مع اليأس . أيجمع المرء في جسم

واحد الموت والحياة . اذ اليأس موت حقيقي وأي موت

كيف نيأس ونحن جميعاً عالمون بأن ما يظهر طويلا في حياة الافراد هو قصير في حياة الشعوب . فعشر من السنوات في حياة الانسان طويلة حقاً ولكنها في حياة الامة قصيرة جداً. على انه اذا كان اليائسون معتقدين صحة أفكارهم فعار عليهم أن يقوموا في الامة بوظيفة تثبيط همم الآملين والآملون في البلاد كثيرون بل الامة كلها مؤملة خيراً في المستقبل وان لم تظهر الى الآن أعمال الآملين فستظهر بعد قليل وسترى الامة المصرية وأمم العالم أجمع أن للوطن المصري أبناء مخاصين يقدرون الوطنية قدرها ويعرفون لمصر حقوقها ولا يخافون الاحتلال وقوته بل يجاهدون في سبل خلاص البلاد منه أشد الجهاد وأحسنه . ولا غرو فان سبل خدم الوطن عديدة وان أهمها اعلان الحقيقة في كل بلد وفي كل زمان . فالحرية بنت الحقيقة وما انتشرت الحقيقة في أمة الا وارتفعت كلتها وعلا شأنها . فالحقيقة نور ساطع اذا انتشر اختنق الظلم والظلمة وانتشرت الحرية والعدل . فكما ان الافراد لا تسلب حقوقهم ولا يعتدي اللصوص على أمتعتهم الا في ظلام الليل الحالك . فكذلك شأن الامم لا تسلب حقوقها ولا يعتدي العدو على أملاكها الا اذا كانت الحقيقة مجهولة فيها وكانت هي عائشة في الجهل والظلام

فيا أيها المصريون المخلصون لمصر . أنشروا الحقيقة في أمتكم والامم الاخرى . قولوا للمصري انه انسان من بني الانسان له حقوق الانسان تروه رجلا كرجال الامم الحرة يحمل لواء الوطن بكل قوة واقدام . قولوا للفلاح المصري انه خلق انساناً ككل انسان وان الله أعطاه في الحياة حقوق أكبر الافراد . وإن له صوتاً لو رفعه سمع في الملأ الاعلى

وانه ماخلق لان يعمل لغيره بل ليعمل لوطنه ولنفسه تروه عندئذ أشد الناس دفاعاً عن حقوق الامة والوطن . قولوا للامة المصرية إنها أمة كسائر الامم من أقدس حقوقها أن تحكم نفسها بنفسها وألا تنفذ رغائب غيرها وأن تكون في بلادها عالية الكلمة قوية السلطة لا يردلها رأي ولا يخالف لها أمر . هنالك تجدون الامة حية والشعب قوياً ولا ترون أولئك الذين يهزأون برغبة الشعب ورغبة نوابه ويسخرون من رغائب الامة ومطالبها

انشروا الحقيقة عن مسألة مصر في كل بلد وفي كل ناد . فليس المصريون وحدهم هم أصحاب الحقوق في مسألة مصر ضد المحتلين . بل معهم أمم كثيرة من أمم أوربا لها في مصر مصالح توافق مصالحهم ولا توافق مصالح المحتلين . وخير ما يعمل لمصلحة مصرهو ان تنضم الامم الاوربية الى الامة المصرية ضد الاحتلال الانجليزى ففي ذلك الخلاص وفي ذلك السلام

ولسنا أيها السادة بأنصار دولة دون دولة بل نحن أنصار الوطن المصري وطن الآباء والاجداد وموطن الابناء والاعقاب . فان ظهرت دولة من الدول بمظهر المحبة لمصر والميل لمساعدتها كنا أكبر أصدقائها وأعظم أنصارها . فمصلحة وطننا قبل كل مصلحة . وهي هي المصلحة الوطنية التي تفرض علينا أن نشكر من صميم فؤادنا الذين رفضوا من سياسي أوربا العمل مع الانجليز ضد مصر والذين أوقفوا الانجليز عند حد الاحتلال في البلاد . وهي هي المصلحة الوطنية التي تفرض علينا أن نشكر كل رجل من أي أمة كان يدافع عن حقوق وطننا ويساعدنا على استرداد حريتنا وحقوقنا الشرعية

واذ كان بعض الرجال المخلصين للوطن العزيز يخافون الظهور أمام

قوة الاحتلال بمظهر المجاهدين ضده ولا يستطيعون أن يقوموا أمام الامم مدافعين عن بلادهم مناضلين عن حقوق شعبهم . فعليهم في مصر نفسها واجبات وطنية يضيق المقام عن عدها . ولكني أقف قليلاً وأذكر منها بنوع خاص واجب تربية الامة وتعليمها

نعم ان هذا الواجب أكبر واجب وطني والبلاد مطالبة بالقيام به . فقد أصبحت المدارس على خلاف رغائب الشعب وآماله. وأصبحت الامة في حاجة إلى مدارس أهلية ترشدها الى مصلحة البلاد الحقيقية وتعلمها ما للامة من الحقوق وما عليها نحو الوطن من الواجبات

لم لا يقوم كبراء مصر ووزراؤها السالفون بأمر تأسيس المدارس الاهلية وتربية الامة . لم لا يعقدون الشركات لهذه الغاية ويخصصون أيامهم الاخيرة لهذا العمل الشريف . رأينا عظيما منهم قام بمسألة الاعانة العسكرية وأجهد نفسه في هذا الأمر وله من الأمة والوطن جزيل الشكر والثناء . فلم لا نراه يقوم مع الكبراء الآخرين بمسألة اعانة عمومية لتأسيس مدارس أهلية والبلاد في أشد حاجة اليها . يا أيها الكبراء ويا أيها العظماء ويا أيها الاغنياء . ما الفخار بالرتب والالقاب ولا بسكنى القصور العالية والتحدث بما كان وما ربما كان سيكون . بل الفخار كل الفخار في العمل آناء الليل وأطراف النهار لخدمة البلاد واعلاء شأنها . فما الحياة بايام تمر وسنين تكر بل بالعمل وبالخدمة الوطنية

وما الحياة بانفاس نرددها   ان الحياة حياة الفكر والعمل

واذا كان رجل ضعيف الصوت مثلي يسأل السادة الامراء والسادة الاغنياء والعمل في الشيخوخة والقيام في آخر العمر بتتويج

خدمتهم الوطنية فذلك لأني أعتقد أن الكثير منهم قضى حياة شريفة وخدم البلاد بصدق واخلاص . فهي هي البلاد بنفسها تسأل خيرة رجالها على لسان أضعف أبنائها أن يبقوا مثلا طيباً للشبيبة والناشئين. وأن ينشروا في الامة نور التربية ونور الحقيقة وأن يبثوا فيها روح الوطنية وروح الرجاء

نرى الكثيرين من الاغنياء يهتمون بامر توظف أبنائهم ولا يرون الشرف الا في الوظائف . فمتى يسمعون أنين الوطن وشكايته من هذا الداء العضال . داء السعي وراء الوظائف

اتركوا الابناء معشر الآباء في الحياة الحرة . اتركوهم يخدموا الوطن ويخدموا أنفسهم في غير دائرة الوظائف . اتركوهم أحراراً غير مقيدين بقيود الرواتب. ابعثوا بهم الى الخارج ليدرسوا التجارة والصناعة ويؤسسوا في البلاد المعامل والمصانع تزدادوا بذلك شرفاً وفخراً وتزدادوا أمام الله وأمام الوطن مثوبة وأجراً . والا فان أهملت تربية الامة وبقي الكبراء منعكفين في ادارة شؤونهم الخاصة واستمر الآباء يلقون بالابناء الى مهاوي التوظف في الوظائف وبقيت التجارة والصناعة في كساد ودامت الامة في حاجة الى استجلاب لوازمها الضرورية من غير بلادها . دام الانحطاط ودام التأخر ودام الخطر (انتهت باختصار)

سعد زغلول باشا

الخطبة التي القاها بالسرادق يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣

لم أصعد للخطابة فيكم لأني لا أزال ضعيفاً ولا أقوى على الخطابة ولكني صعدت اليه اطاعة لامركم واضطراداً لخطتي التي التزمتها وهي أني لست أميراً فيكم ولكني خادم لمبادئكم وأرجو الله سبحانه وتعالى ان يرزق مصر الاستقلال التام (تصفيق)

طلب مني بعض خطبائكم أن ألقي كلمة لتكون برداً وسلاماً على قلوبكم والكلمة التي جاشت في صدري عقب هذه الدعوة هي أن أرجوكم وأرجو كل مصري أن يحافظ على أمر واحد هو فخار نهضتنا الحاضرة ، ذلك الامر هو الاتحاد المقدس (تصفيق)

لست خالق هذه النهضة كما قال بعض خطبائكم — لا أقول ذلك ولا أدعيه بل لا أتصوره ، انما نهضتكم قديمة تبتدىء من عهد مؤسس الاسرة المالكة محمد علي ، وللحركة العرابية فضل عظيم فيها وكذلك للسيد جمال الدين الافغاني وأتباعه وتلاميذه أثر كبير وللمرحوم مصطفى كامل باشا فضل غزير فيها أيضاً وكذلك للمرحوم فريد بك

كل هذا حق ويجب علينا أن لا نكتمه لأنه لا يكتم الحق الا الضعيف (تصفيق) . ثم أتت هذه النهضة على أثر تلك النهضات وامتازت على سابقاتها بأن أوجدت هذا الاتحاد المقدس بين الصليب والهلال (تصفيق) هذا الاتحاد الذي أرجو مصر جميعها أن لا تتهاون فيه فانه فخار هذه النهضة وهو عمادها .. وهو الذي اضطرب له خصومنا

إذ أسقط من أيديهم حجة كانوا يعتمدون عليها كما اردنا تحرير رقابنا من النير الذي وضعوه في اعناقنا

يقول خصومنا اننا حماة الاقلية فيكم لأنكم قوم متعصبون فلا بد من أن نبقى بينكم لنحفظ العدل فيكم !!.. هذه الحجة سقطت باتحادكم ولكنهم الآن انتهزوا فرصة الانتخاب ليبثوا الانقسام فيكم فاحذروا هذه الدسيسة واعلموا انه ليس هناك أقباط ومسلمون . ليس هناك الا مصريون فقط . ومن يسمونهم اقباطاً كانوا ولا يزالون انصاراً لهذه النهضة ، وقد ضحوا كما ضحيتم وعملوا كما عملتم وبينهم أفاضل كثيرون يمكن الاعتماد عليهم فاحثوا التراب في وجوه اولئك الدساسين الذين يفرقون بين مصريين ومصريين انه لا امتياز لواحد على آخر الا بالاخلاص والكفاءة

فيهم اجسامنا وفيهم من هو أفضل من كثير منا ، اقول هذا لأني أقول الحق ويجب على زعيمكم أن يقول الحق (تصفيق حاد)

لقد برهنوا في مواطن كثيرة على اخلاص شديد . وكفاءة نادرة وأفتخر (أنا الذي شرفتموني بدعوتي زعيمكم) بأني اعتمد على كثير منهم فكلمتي ووصيتي فيكم ان تحافظوا على هذا الاتحاد المقدس وان تعرفوا ان خصومكم ينميزون غيظاً كلما وجدوا هذا الاتحاد متيناً فيكم (تصفيق) . ولولا وطنية في الاقباط واخلاص شديد لتقبلوا دعوة الاجنبي لحمايتهم وكانوا يفرزون بالجاه والمناصب بدل النفي والسجن والاعتقال ولكنهم فضلوا ان يكونوا مصريين معذبين محرومين من المناصب والجاه والمصالح يسامون الخسف ويذاقون الموت والظلم على أن يكونوا محميين بأعدائهم وأعدائكم

هذه المزية يجب علينا أن نحفظها وأن نبقيها دائماً في صدورنا واني

أتحدث كل الافتخار كلما رأيتكم متحدين متساندين لتحافظوا على اتحادكم وهناك افتخار آخر لهذه النهضة وهو التفاف الامة حول شخصي الضعيف

تعودتم طاعتي وأنا لم أكن أميراً فيكم ، ولا قريباً لبيت ملك اعتدتم الخضوع له ولا أنا من بيت كبير بل أنا فلاح ابن فلاح من بيت صغير يقول عليه خصومنا انه حقير ونعمت الحقارة هـذه ، ولم أكن غنياً ليكون التفافكم حولي طمعاً في مال ، ولا أنا ذو جاه أوزع الجاه على من يطمع فيه ولـكنكم التففتم حولي فدللتم بذلك على أنـكم لا تطلبون مالا ولا جاهاً بل السجن في بعض الاوقات (تصفيق حاد)

أنتم أمة تلتف حول رجل لا مال عنـده ولا جاه ولا جمال ايضاً (ضحك) حقيقة ان كل ما يستهوي الناس عادة مفقود عندي ـ أنا مقر بذلك وأنا أؤكد لـكم وأقسم بالله وبصفاته اني ما تخيلت حتى في منامي ان شخصي الضعيف موضوع تلك الحفاوة ولـكني اعتقد أن في الامة شعوراً تبعياً ونوراً الاهيا هداها الى شيء في شخصي الضعيف هو أني متمسك بمبادئها (تصفيق)

قالوا وما أكثر ما قالوا ـ قالوا انـكم قوم تعبدون الاشخاص (يعني ما شفتوش الا أنا ؟) (ضحك) لمَ لم تعبدوا غيري . هذا كلام فارغ لا يستحق مني الرد ـ وهذا هو الدليل على ان نهضتكم حقيقية

تعبت مع صحبي المخلصين ـ وهنا اسمحوا لي أن استطرد عن اولئك الصحب

تعبت ولـكن صحبتهم أنستني آلام النفي لانهم كانوا حقيقة ابناء بررة ، شعرت بحبهم وأنسوني كل ما كان يمكن ان أحس به في سجني وغربتي ولولا قصر الوقت لشرحت لـكم جميل عنايتهم بي ـ يقيناً كنت

أتقوى في عزيمتي بهم ، واني اشكرهم على هـذه التقوية ـ أنسوني آلاماً كثيرة ووجدت فيهم عوضاً كبيراً ـ شكرتهم بسري هناك وهنا اشكرهم علناً امام الامة جميعاً (تصفيق حاد)

نفينا فماذا حصل ؟ حل محلنا آخرون فكان لهم من الامة نفس الاحترام الذي كان لنا لأنهم حلوا في المكان الذي عهـدت فيه الامة الاخلاص ـ حلوا فيه ولم يكن امامهم الا السجن والنفي والاثم ودل ذلك على ان الامة جميعها مستعدة ـ إذا غاب منها سيد قام سيد (تصفيق)

جاء هؤلاء الخلف و نابوا عنا أحسن نيابة وعذبوا وأهينوا ولـكنهم صبروا حتى حكم عليهم بالاعدام فتقبلوه بوجوه باشة هاتفين لمصر وللاستقلال التام (تصفيق حاد وهتاف متواصل) وعند ما أخذوا قام من خلفهم وسار سيرهم . فكان له ما كان لهم من احترام وسجن واعتقال ، ثم خلفهم أسياد آخرون قاموا بعبئهم خير قيام ـ فتوالى قيام الابطال مكان الابطال ـ السجن يفتح ابوابه لـكل حر ولـكل عامل للحرية وهذا دليل على تأصل النهضة فيكم وانـكم حقيقة مستعدون لأن تضحوا كل شيء في سبيل استقلالـكم وان نهضتكم حقيقية وأنـكم تمجدون الاشخاص الذين يتمسكون بمبادئـكم مهما كانوا . وكنت وأنا في منفاي عند ما أرى هذه الوثبات أقول لقد تمت مأموريتي واستقلت البلاد (هتاف لحياة الرئيس) فأجاب معاليه هاتفاً (لـحيا جميع الوفود التي خلفت سعدا في مكان سعد) فردد الجميع هذا الهتاف

نعم انهم عذبوا واهينوا وسجنوا وأخيراً وجد من يعيرهم بالسجن والنفي ! ! عابوا عليهم ان يسجنوا . عابوا عليهم ان يهانوا . وقالوا بطولة كفارغ بندق ـ بئست هذه الـكلمة . لا معنى للبطولة الا أن

يقتحم الشخص الاخطار مع كونه عالماً بأنها اخطار ويتحملها بر باطة جأش وثبات جنان كما تحملهـا هؤلاء الذين كانوا معي وأشهد الله اني كنت آخرهم فهم ابطالنا وهم ابطال الامة وهم الذين يجب أن ترفع لهم الاعلام وأن يشاد بذكرهم (تصفيق)

واني أؤكد لـكم ان كل مايظهر مني من عمل صالح فهو باشتراكهم وربما كان فيهم من هو صاحب الفـكرة الصالحة لأني ضعيف بشيخوختي في وسط أولئك الشبان القديرين . فصاح صائح (ليحيي التواضع) فرد الرئيس قائلاً (أنا لا أعرف الـكذب ولو في التواضع) اني أقول الحق حتى لو كان فيه فخر لنفسي . اني لا أخشى في الحق لومة لائم . ولا أخشى الجرائد

اني كنت اقرأ قبل كل الجرائد جرائد المخالفين وأسر كل السرور بكذبها ، وأحمد الله لأنهـم لم يجدوا ضد اخواني حقاً يعيبونهم عليه لأنه لا أسر للنفس من ان ترى خصمها منغمسا في الـكذب والرذيلة

لقد فاتني ان أشكر الوفود ولـكن هل أنتم في حاجة الى شكر أبديه ؟ ــ لا نبديه لـكم فلسان الحال أفصح من بياني (تصفيق حاد وهتاف متواصل)

الخاتمة

الآن وقد جزنا معاً ايها القارىء هذه المسافات الشاسعة وطوينا عصوراً مختلفة وبلداناً مختلفة وحضارات مختلفة وسمعنا من افواه البشر على تنازع اهوائهم وتضارب مذاهبهم وتباين طباعهم وتناقض حالاتهم أناشيد القلب البشري من احلام وآلام صاعدة كلها نحو مثل اعلى واحد هو العدل هو الحق هو الله . فيحق لنا ان نقول ان الخطابة نفحة روحانية يستطيع بها الانسان ان يرتفع فوق مراتب الانسانية . وان يمشي على رؤوس الحقب تاركا صدى صوته في سمع الاجيال تتعاقب فيه ثم تزول وهو لا يعرف الزوال

واذا لم يسعنا ان نجمع بين دفتي هذا الكتاب الا القليل من تلك الآيات التي يتجلى فيها وحي العبقرية . ففي هذا القليل ما يكفي ليحبب اليك هذا الفن ويساعدك على الذهاب فيه مدى بعيداً ، بعد الذي مهدناه لك من البيان عن كل ما يتعلق بقواعده وشروطه وأصوله وفروعه وطرقه وانواعه وما يشترك فيه او يحتاج اليه من شؤون الصحة واسباب التربية والعناية بالجسم والصوت والاخلاق على ما اجمع عليه ارباب الفن وأيده العلم والاختبار

وكان الفراغ من تبييضه في شهر ابريل سنة ١٩٣٠ ميلادية والحمد لله اولا وآخراً

الدكتور نقولا فياض

فهرست الكتاب

القسم الثاني

أمالي طبية ووصايا صحية

صفحة

القسم الثالث

أمثلة من خطب العرب والافرنج

صفحة

صفحة

خطب العرب

اصلاح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧	الأخير	عليم	علم
١٤	١٦	يحوله	يحوّل
١٥	٢١	يفلتها	يقلها
٢٤	٧	اهواه	أهواء
٣١	١	قد يجيد	قد لا يجيد
٣٣	١	هو تنسيق وربط	هو تنظيم الخطبة واحكام ربط
٣٧	٢٠	النقاب الصفيق	النقاب الرقيق
٤٢	٢٠	مكرراً	مُكرَّاً
٦٥	٧	وقفلوا	وقفت
٦٥	١١	يفيدون	يبزون
٩٥	٩	لتسمح بالمرور	لتسمح لها بالمرور
١٠٣	٦	رؤية وبديهة	روية وبديه
١٦٧	١٥	على الذين سارعوا	عسى الذين سارعوا
٢٤٦	٥	هو الحق هو الله	هو الحق هو الحب هو الله